

الرسالة

مجلة أسبوعية للعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
نمن العدد ٢٠ مليا
الاعتراف
يتفق عليها مع الإدارة

المسدد ٦٢٤ « القاهرة في يوم الإثنين ٨ رجب سنة ١٣٦٤ - ١٨ يونيو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

خليفة نابليون !

لا تقل إن خليفة نابليون يتان ؛ فإن المرشال جثا ضارعا أمام
النازية وجيشه يضم اليادين والدائن ، وذهبه يتختم الصناديق
والخزائن ، وعلمه يتحقق على مستعمرات مسخرات بأمره ، وحليفته
الغنية القوية تسأله جاهدة أن تصل عمرها بممره !
ولا تقل إنه ديجول ؛ فإن الجنرال لم يشتهر في أية ملحمة ،
ولم يُعرف بتدبير خطة محكمة . وجملة أمره أنه تشبث يوم المزيمة
بطائرة فهرب ، ثم لجأ إلى لندن وطلب فأعطته لندن ما طلب !
ولكن قل مى : إن خليفة نابليون ووارث بطولته وعبقريته
هو الجنرال أوليفا روجيه دكتاتور فرنسا في سورية ! !

وجهه كوجه البومة عليه صفرة المومياء ، ورأس كراس
النمامة فيه رعونة الكبرياء ، وشخص كتمثال الموت في يده
منجل الفناء ، وصوت كنعيب الغراب يردد في أجواز الفضاء :
« أخفق نابليون في استثمار مصر فأننا أستعمر سورية ، وعجز
نابليون عن تدمير عكا فأننا أدمر دمشق ! ! وكان في يد هذا المفرور
بقية من عتاد الحلفاء فيها القاذفات والسيارات والرشاشات والبنادق ؛
وكان من حول هذا الممرور طامعة من عبيد السخايل غلاظ المشافر
سود الأكباز حمر الميرون يمدون كالآلة من غير وعى . وكان
إخواننا السوريون قد نظروا في أسرم وأمر هؤلاء فلم يجدوا
لهم منزلة عليهم ؛ فلا هم قدوة في حسن الخلق ، ولا حجة في صحيح

العلم ، ولا قوة في نظام العالم ؛ وإعظام أمة أمرضتها رواهب
اللاتينية فاستكانت لموامل البلى ، حتى إذا ابتليت بهذه الحرب
انخرعت فلم تقم ، وانماعت فلم تنهك . فلو كان بينهم وبينها
أسباب من فتح أو عهد لأعادوا النظر فيها بعد انهيارها المخزي ؛
فكيف والسبب الذي انقطع كان أو هن من خيوط الباطل ؟
ولكن مسيح نابليون بصم على البقاء وإن أبدعت الحجة ،
وبصر على المعاهدة وإن فقدت الثقة ! فهو يجلب اللعنة ليمززاللعدو ،
وينصب المدافع ليحصن المواقع ، ويتحدى حمية الغرب الذين كان
أباؤهم يحملون السيوف ليقودوا الأمم ، أيام كان آباء هؤلاء ، من (النال)
يحملون العصي ليقودوا الغنم ! فلم يكن بد من قبول التحدى ،
ووقف الكفاة الأبوة المزل يتلقون برء وسهم قتابل النار ، وبصدورهم
قذائف الرصاص ، دون أن يفروا كما فر في (سدان) خلفاء نابليون
الثالث وهم مدججون بالسلح محصنون بالمدافع . فاستشهد منهم
على أرض سورية الكريمة العظيمة ثمانمائة وجرح ألفان ! وكاد
أربعمائة مليوناً من العرب يؤججون بأجسادهم هذه النار ليصلى
بها من يشاء الله أن يصلى ، لولا أن رفع الصوت من علك الرقع
والخلفى ، فأنخلت قلوب القادة وانخرعت متون الجنود !
ولا والله ما ذهب باطلا ذلك الدم الذى طهر سورية من
السخيل ، وجمع كلمة العرب وقوتها من شرق دجلة إلى غرب
النيل !

ابن عبد الملك

هذه هي فرنسا...

للاستاذ سمير قطب

—»»»»»»»—

كلما سمعت أو قرأت - بمناسبة حوادث سوريا الأخيرة - أن هذه الحوادث غائفة لتقاليد فرنسا ، ثار في نفسي شعور السخريّة المريرة من هؤلاء المتحدثين أو الكاتبين ...
تقاليد فرنسا !

ومتى كانت تقاليد فرنسا إلا هذه البربرية المتوحشة ؟ ومتى كان الفرنسيون إلا عشاق المنجارات البشرية ، المولعين بالدماء في كل زمان ومكان ؟ حتى في ثورتهم الكبرى التي يعيشون باسمها حتى الآن .

تقاليد فرنسا !

تقاليدها في سورية ، أم في مراکش ، أم في تونس ، أم في الجزائر ، أم في أية بقعة من بقاع الأرض على مدى الأزمان والأجيال ؟

إنني لأستعرض أمامي تاريخ فرنسا في الشرق ، فلا أجد إلا صفحات من البربرية المتوحشة ، وإلا بركاً من الدماء حيث وضعت أقدامها في مكان ، وإلا وسيلة واحدة من وسائل التدمير والتخريب .

في أيام نابليون سلطت الدافع من قلعة الجبل على المصريين ، ودخلت الجيود الفرنسية التبريرة بخيولها الأزهر ، وجرت الدماء في شوارع القاهرة ، وديست كرامة الدين ، وانتهكت الحرمات العامة ... باسم تقاليد فرنسا !

وفي سنة ١٩٠٥ ضربت دمشق بالقنابل ، وأريق الدماء في الشوارع ، واعتدت الجيود الفرنسية التبريرة على الآمنين . وضع الشرق العربي للمأساة ، بينما كانت الصحافة الفرنسية تمجد أعمال الوحشية في سورية ... باسم تقاليد فرنسا !

وفي سنة ١٩٢١ وما بعدها وما قبلها أيضاً سالت السماء في مراکش العربية لإرغام الناس هناك على الدخول في المسيحية وترك ديانتهم الإسلامية ، باسم « الطير البربري » المعروف جيداً في كل صقع إسلامي ، والذي يشهد بأن دماء الصليبيين

لا تزال تجري في عروق الفرنسيين . ومنذ ذلك الحين بل قبله والرعاء المراكشيون منفيون في المستنقعات الحارة ، وبلغ من الوحشية التبريرة أن تشغل هؤلاء الرعاء السياسيين في رصف الأرض وقطع الأحجار في تلك الجهات الحارة الثانية في أواسط إفريقية حتى يصاب بعضهم بالسل ، وبعضهم بالحمى الصفراء ... وذلك باسم تقاليد فرنسا !

وفي تونس ، وفي الجزائر ، البلدين اللذين تدعى فرنسا أن ثانيهما « أرض فرنسية » تعمل جاهدة على رد أهله عن دينهم بكل وسائل العنف والقسوة ... باسم تقاليد فرنسا !
هذه هي فرنسا .

هذه هي في حقيقتها من وراء الأضواء المصطنعة والدعايات البراقة . بل هذه هي حتى من خلال الأضواء المصطنعة والدعايات البراقة . فها هذه الأضواء التي تخدم المذمومين ، وتطلق السنة الدعاة ؟ إنها الدعاية الفاجرة ، والتحليل الذميمة ، والبهيمية المطلقة ... إنها هي سبيلها النكسة إلى حياة الحيوانية ، وفوضى البربرية !

ولكن هنا رءوساً وأقلاباً لا تزال تمجد فرنسا ، ولا تزال تتشدد باسم فرنسا !

أولئك بضعة نفر عاشوا في فرنسا فترة من العمر ، فسمحت لهم فرنسا الداعرة بإشباع أقصى لذائذهم الحيوانية ، وتروية أطماع شهواتهم الحسية ... ثم عادوا فإذا في الشرق بقية من تقاليد وبضعة من حواجز ، فلم يرق لهم ما في هذا الشرق من « رجمية » ! وظلوا يحنون إلى عهد فرنسا الداعر وإلى لذائذها المنوعة ، وإلى شهواتها المحرمة !

وقليل منهم وجد في فرنسا علماً وفناً - وإن لم يجد لفرنسا قلباً - ففتته العلم والفن عن أقدس المقدسات القومية والإنسانية . فتته عن كرامة الوطن ، وعن حرمة الأهل وعن شرف المرض ... فإذا أحدهم يجادلني في أمر الشرق العربي وقطائع فرنسا فيه فيقول : « إذا لم يكن بد للإنسانية من أن تفقد فرنسا أو أن تفقد هذا الشرق العربي ، فليذهب الشرق العربي إلى الجحيم ! »

هؤلاء نفر منحلون ... وعلامة الأجلال في فرد أو أمة

يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي أطلقت قنابلها على دمشق عاصمة الأمويين مرتين في خلال عشرين عاماً ، بلا مبرر ، وبد تدير شنيع

يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي دبرت مؤامرة وحشية دينية لم تتم لقتل أعضاء الوزارة السورية وأعضاء البرلمان السوري ، وكان عدم إتمامها راجعاً إلى وقوع وثيقة في يد الحكومة السورية يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي أصدرت أمراً يومياً لقواتها في سورية بالاستعداد « لمذبحة كبرى » ! وأن قائدها هناك هو الذي صرح بحبه لمظاهر القتل والدماء !

يجب أن نذكر أن الجزائر وتونس ومراكش تلقى من البربرية الفرنسية ما لا يلقاه أحد من العالمين من القتل والنفي والتشريد ، واستخدام الوسائل الخبيثة في تمذيب الرعماء السياسيين يجب أن نذكر هذا كله ، لنحتقر الثقافة الفرنسية مهما تكن ، لأبى الثقافة تظل أبداً حواء إن لم يكن من آثارها تهذيب الطبع ، وإفارة القلب ، وبث الشرور الآدمي بين المثقفين !

ويجب أن نذكر هذا كله لنحتقر دعاة فرنسا في كل مكان في الشرق العربي ، وننظر إليهم كما ننظر إلى الأمساخ المشوهة ، والمخلوقات المريضة ، فما يرتفع تمجيدهم لفرنسا على تمجيد الشهوة . ولو كان تمجيد الثقافة التي لا تخرج بالإنسان عن طبيعة الحيوان ! ويجب أن نتهم الفرصة السانحة لحلق الثقافة الفرنسية في الشرق كله ، كما صنعت سورية الباسلة ، فتختنق فرنسا في الشرق بلا قتال !

يجب أن يكون لنا شرف المساهمة في أن تعود فرنسا دولة صغيرة - كما تستحق - فقد برهنت على أنها لا تستحق غير هذا يوم جثت على ركبتيها عند الضربة الأولى ! يجب ... وإلا فدعونا من الثورات المؤقتة ، ومن الجمعية القارعة ، ومن الألفاظ الجوفاء !

سيد قطب

قضى استئنافاً بجلسة ٢٣ - ١٢ - ١٩٤٠ في الاستئناف ١٦٨٠٢ يتفرع اسماعيل حسن الدجان جنيهان لبيعه لحماً بأزيد من التسعيرة .

أن يهون عليه شرف الرض وحرمة الأهل وكرامة الوطن . كما هانت على هذا الذي كان يجادل في أمر فرنسا .

ويقولون لنا حين نجادلهم : إنكم لم تمشوا في فرنسا . أجل نحن لم نمش في فرنسا ، ولكن فرنسا عاشت عندنا فلم نطلع منها في يوم من الأيام على صفحة بيضاء ... فهلا أخطأت فرنسا مرة فأطلمت على حقيقة عناصرها الطيبة ؟ !

ويعتدرون لفرنسا اليوم في تصرفاتها البربرية بأنها تحس « مركب النقص » بعد الهزيمة ، فتريد التعويض بمظاهرات القوة ، وأن سياسة وخز الإبر التي تتبعها معها أنجلترا في الشرق هي التي تثير أعصابها تلك الثورة الوحشية .

ولكننا نستعرض تاريخ فرنسا في الشرق ، فلا نجد اختلافاً بين مركب النقص ومركب الكمال ! ، ولا نلج فرقاً بين فرنسا الظافرة بعد الحرب العظمى وفرنسا المهزومة في هذه الحرب .

إنها هي هي ... فرنسا المتوحشة في كل حال . فرنسا التي تدك القاهرة بالقنابل وتمتد على حرمة الأزهر وكرامة الدين في عهد نابليون ، هي فرنسا التي تدك عاصمة الأمويين بالقنابل في عام ١٩٢٥ ثم في عام ١٩٤٥ .

فأما أن « مركب النقص » هذا طبيعة فرنسية دأبة ، وإما أننا نختلق لفرنسا الماذير لأننا منحلون . لا نشور لمرض ، ولا نقضب لأهل ، ولا تمنينا كرامة ، بعد أن تهبي لنا فرنسا لذائد الحس ، وشهوات البدن ، أو حتى لذائد الفكر وشهوات الوجدان !

يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي أطلقت قنابلها على القاهرة وداست بخيلها منجداً الأعظم في عهد نابليون

يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي مهدت الطريق للاحتلال الإنجليزي بانسحاب أسطولها من المياه المصرية سنة ١٨٨٢ ، وترك الأسطول الإنجليزي يهاجنا بعد الخدعة اللثيمة التي خدعها دى لسبس لمرابي بحماية قناة السويس وعدم السماح للأسطول الإنجليزي بمهاجمة مصر من ناحيتها ، ثم التكت بالعهد ، لأن فرنسا كانت تبصص بذنبها كالكلب ينتظر فئات المائدة في « الاتفاق الودي » بعد ذلك بأعوام !

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٥ —

—>>><<<—

وجاء في شرح (أمعت) أي أبعدت في الاستقصاء وبألفت فيه ، وكانت في الأصل (معت) وأصلحت .
قلت : ربما كان الأصل (أنمت التفتيش) أو (أمعت في التفتيش) .

في النهاية : وفي حديث صلاة الظهر : فأورد^(١) بالظهر وأنعم ، أي أطلال الإراد وآخر الصلاة ، ومنه قولهم : أنعم النظر في الشيء أي أطلال التفكير فيه .

وفي المخصص ج ٣ ص ٢٩ : قالت الأرائل : إن اليقين هو العلم الثاني أي أنه لا يُعلم ولا يُدرك عن بديهية ولكنه بعد بذل الوسع في التعقب وإنعام النظر والتصفح . وفيه ص ٥٢ والرأي الدَّبري الذي لم يُنعم النظر فيه .

وقول الحريري في المقامة الثانية الحلوانية : « أمعت النظر في توسعه » عرفت^(٢) ، والصواب ما جاء في مقدمة المقامات : « ومن فقد الأشياء بعين العقول وأنعم النظر في مبادئ الأصول نظم هذه المقامات في سلك الإقادات » وما جاء في المقامة السادسة الراعية . وفي الخامسة عشرة الفرضية وفي التاسعة والأربعين الساسانية .

وأمن في الأمر : أبعد فيه كما في الأساس ، وفي النهاية : وأمنوا في بلد المدو وفي الطلب أي جدوا وأبعدوا . ومثل ذلك في كتب اللغة . وفي المقامة الخامسة عشرة الفرضية ، وفيها (أنعم وأمن) : « قال : لأنني أنمت النظر في التمام ما حضر ، حتى لم يبق ولم تدر . فرأيتك لا تنظر في مصلحتك ، ولا تراعي حفظ صحتك . ومن آمن فيما أمعت^(٣) وتبطلن ما تبطلن ، لم يكدر يخلص من كلفة مدقة ... » .

(١) الأبراد ؟ انكار الوهج والحير ، وهو من الأبراد الدخول في البرد (النهاية) .

(٢) يظهر أن التعريف قديم ، فني شرح التريفي عند هذه النقطة : أمنت بألف وأدنت النظر وأصله من أمن في الأرض إذا أبعد الذهاب فيها .

(٣) فسر التريفي (أمن) هنا بقوله : أمن أكثر ، وتقول أمن لي بحق : اعترف به وأظهره ، مأخوذ من الماء المين وهو الجاري الظاهر ، وهذا التفسير بعيد وهو يخالف شرحه (أمن) في الحلوانية .

* في ج ١٥ ص ١٢٨ : وكتب حسن بن علي الجويني في ذي القعدة سنة ست وستين وخمسة بالديار المصرية عمرها الله تعالى بدوام العز : وقال الممرى وضرب علي بن هلال مثلاً :

طربت لضوء البارق المتعالي ينفداد وهنا ما هن ومالي
فيا برق ليس الكرخ داري وإنما

رى في إليه الدهر منذ ليالي
فهل فيك من ماء المرة نغبة تفتت بها ظمآن ليس بسالي
ولاح هلال مثل نون أجادها

بهاء النصار - الكاتب ابن هلال
قلت : (طرب لضوء البارق المتعالي) (فهل فيك من ماء المرة قطرة) (بجاري النصار الكاتب ابن هلال) (كما في سقط الزند) ويؤيد ذلك قول الشارح في البيت الأول : « الضمير في طربن للأبل ، والمعنى خفت الأبل شوقاً لما رأت البارق ... يعني بارقاً نشأ من نحو أوطانها بالشام وهي بالعراق ... » وقوله في البيت الثاني : « فهل حلت أيها البرق قطرة من ماء بلدي » وقوله في البيت الثالث : « شبه هلال رجب بنون خط ابن البواب (الجويني) بالنصار الجاري أي بماء الذهب ... » .

* في ج ٧ ص ١٢٩ كان بNDAR^(١) بن عبد الحميد الكرخي الأصهباني يحفظ سبعة قصيدة ، أول كل قصيدة (بانت سعاد) . قال المؤلف : وبلغني عن الشيخ الإمام أبي محمد الحشاش أنه قال : أمعت التفتيش والتفتير فلم أقع على أكثر من ستين قصيدة .

(١) ضبط (NDAR) في الكتاب بكسر الباء وإعلاء هو بضمها .

وأمن فعل لازم وأسم فعل متعد .

* في ج ١٤ ص ١٦٦ كان أبو الفتح بن العميد قد أغرم قبل القبض عليه بإنشاد هذين البيتين ، لايحيف لسانه عن ترديدهما :

ملك الدنيا أناس قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا

وزلناها كما قد زلوا ونخلها لقوم غيرها

قلت : في اليتيمة : (ونخلها لقوم بعدنا) فغير السائح .

* في ج ١٠ ص ١٥٤

والنهر إذ مات غاريدته قد مد أيديه إلى بلبيه

وجاء في الحاشية : في الأصل (غاريره) فجعلت غاريدته ،

واحدها غمرود ، وكان يطلق على ملك بابل ، فلما تجبر وتكبر

حين دعاه الخليل إلى التوحيد صار يستعمل في كل متكبر جبار ،

كفزعون اسم لكل من ملك مصر ثم استعمل في الشخص

المتصف بالجبروت :

قلت : غاريره . في التاج : « التحرير — بالكسر —

الحاذق الماهر الماقل المحرب ، وقيل : الرجل الطين^(١) »

الظن البصير بكل شيء مأخوذ من قولهم : نحر الأمور علماً .

والجملۃ الأخبرة في الأساس في مجازة . والبيت ختام مقطوعة

للحسين بن محمد النباس المعروف بالبارع ، ومقطوعته :

أفنت ماء الوجه من طول ما

أسأل من لا ماء في وجهه

أنهى إليه شرح حال الذي

يا ليتني مت ولم أنهه

فلم يئلى أبداً رفده ولم أكد أسلم من جنبه

* في ج ١٣ ص ٢٢٢ وخضت في المناظرة والمجادلة سنة

جريدة رضىت عن نفسى فيه ، ورضى عنى أستاذى .

وجاء في الشرح : يقال : سنة جردة : خالية من النبات

فكأنه يقول : لم أشتغل بنير الجدول والمناظرة .

قلت : قالوا : أرض جردة ، وقالوا : سنة جارود : مقحطة

(١) في الأساس : هوطين : عالم .

شدة الخل . و (جردة) في الجملة هي (جرداء) قال الأساس :

مضى عليهم عام أجرد وجريد وسنة جرداء أى كاملة منجردة من

النقصان . ونقل التاج هذا القول . وفي اللسان : عام أجرد : تام .

و (فيه) في الجملة (فيها) والقاتل الإمام البيهقي ، وأستاذه الذى

عناؤه هو تاج القضاة يحيى بن عبد الملك . قال : وكان ملكاً في

صورة إنسان !

* في ج ٧ ص ٢١٧

أقول لما جاءني نعيه بعداً وسحقاً لك من هالك

يا شر ميت خرجت نفسه وشر مدفوع إلى مالك

قلت : جاءت (نعيه) بكسر العين وتشديد الياء ؛ وإنما هي

(نعيه) بسكون العين وتخفيف الياء ، وإن صح هذان المصدران ،

وصح صدر البيت وحده^(١) .

والبيتان قالهما حُبَيْش بن عبد الرحمن أبو قلابة في الأصمى

لا بلفته وقائه شامتاً به .

قلت : من أمثال العرب : الشهامة لؤم .

* في ج ١٢ ص ١٠٥ ... أخبرني^(٢) أبو علي^(٣) عن

أبي بكر^(٤) عن أبي العباس^(٥) قال : سمعت عمارة بن عقيل بن

بلال بن جرير يقرأ : (ولا الليل سابق النهار) فقلت له :

ما أردت ؟ قال أردت (سابق النهار) فقلت : فهلا قلته . فقال :

لو قلته لكان أوزن أى أقوى وأفصح .

قلت : عبارة هذا بضم العين ، وسابق الأولى المضمومة النونة

هي بضممة واحدة ، وهي قراءة عمارة بن عقيل ، و (سابق

النهار) هما (سابق النهار) بضم سابق وتنوينه وفتح الراء

في النهار .

وقد قرئ (قل هو الله أحد الله الصمد) بغير تنوين في أحد ،

(١) الصدر من الرجز ، والبيتان من السريع .

(٢) القاتل ابن جنى .

(٣) الفارسي .

(٤) ابن دريد .

(٥) للبرد .

والجيد هو التتبع كما قال (الكشاف) .

« في ١٢ ص ١٥٩ وله (البيان بن عيسى البطي) آيات

بحسن في قوافيها الرفع والنصب والحذف (مطلها) :

إني امرؤ لا يصطيني (م) الشادن الحسن القوام (ما)

رفع القوام بالحسن لأنه صفة مشبهة باسم الفاعل والتقدير

الحسن قوامه كما تقول : مررت بالرجل الحسن وجهه ، ونصبه

على الشبه بالمفعول به ، وحفظه بالإضافة .

وجاء في شرح (بصطيبي) : كانت في الأصل يطيب لي ،

والنيت بها ينكسر ، يقول : إن الشادن الذي هذه صفة ليس

في مكنته أن يعملي على العبوة إليه ، والفعل مزيد بناء الفعل

أبدلت طاء .

قلت : لا يطيبني . في الأساس : طباء واطباء : دعاء

واسمائه . ومثل ذلك في الصحاح واللسان والتاج . وفي أمالي

النالي والنهاية : « إن مصعبا (مصعب بن الزبير) أظلي القلوب »

وفي المقصورة الدريدية :

لا يطيبني طمع مدنس إذا استمال طمع أو اظلي

وفي طبعة (الجواب) : يطيبني . فاختل بالهمز الوزن ،

واستحال الفعل ...

« في ج ١٤ ص ٢٢٧ واستدعى ابن عباد من أسفهان

وولي الوزارة وديرها برأى وثيق ، وحيد رتيق .

وجاء في شرح رتيق : من رتق الشيء جعله يلتصق ببعضه

مع بعض .

قلت : لا رتيق في العربية . واللفظة المحرفة هي (زنيق)

والزنيق المحكم الرصين يقال : رأى زنيق وأمر زنيق أي وثيق ،

وكذا تدير زنيق كما في التاج . وفي الأساس : ومن المجاز :

ورأى زنيق : محكم ، وتقول : هذا تدير أتيق ، ورأى زنيق .

شركة الكتب ومطبعة في البازار الجديد في القاهرة

١٢ شارع الشيخ محمد عبده بجوار الأزهر

تليفون ٥١٣٢٢ - ص . ب النورية رقم ٧١



أكبر المطابع العربية وأشهرها

بها أعظم استعراة لفشر المؤلفات

الحديثة والكتب القديمة

العالم الديمقر اطي كما رأيت

تأليف رحالة مصر الكبير محمد ثابت



رحلة ممتعة يقصها علينا المؤلف بأسلوب شيق يذكرنا

بالشعورين من رجال الرحلات العرب كابن بطوطة وابن

جبر والبيروني ، فالقارئ يتبعه مستأنسا بمخلال رحلاته في

بريطانيا وإيرلندا وأستراليا ونيوزيلندا والولايات المتحدة

وكندا والصين وسد بأجوج ومأجوج وغيرها من بلاد الله

الثمن ٣٠ قرشاً عدا أجرة البريد ويطلب مع جميع مطبوعاتنا

من الكتائب الشهيرة ومكتبة فيكتوريا الإسكندرية

٢ - حول انهيار فرنسا

لأستاذ عربي كبير

ولترك مسائل الدح والإطراء، والرثاء، جانباً، ولنعد إلى أصل القضية وتساءل ما ذا كانت أسباب انهيار فرنسا، هذا الانهيار السريع الذي يكاد يكون غائياً؟ ...

فن أبسط وأسهل الأجوبة التي تحظر على السال رداً على هذا السؤال هي أن فرنسا لم تكن مستعدة للحرب.

وفي الواقع أن هذا التعليل قد سيطر على الأذهان والأقلام، سيطرة غريبة. فإن معظم الذين كتبوا وعالجوا هذا الموضوع عللوا الانهيار بعدم الاستعداد والبعض منهم جعلوا من «عدم الاستعداد» هذا دليلاً على حسن الطوية وتبل النهاية.

فقد قرأت نين ما قرأته من القالات حول هذا الانهيار في المجلات المصرية، هذا الحكم البتار:

«ما غلبوا إلا لأن الديمقراطية التي يعتدونها لا تفكر إلا في السلم ولا تتسلح إلا باليهود والمواثيق والقوانين والشرف، وأن الديكتاتورية التي يمدونها لا تفكر إلا في الحرب ولا تتسلح إلا بالحديد والنار والدعاية والحياة والكذب»

أنا لا أستطيع أن أسلم بمحة هذا الرأي، بالرغم من احترامى الشخصى لصاحبه؛ فلنستعرض الأعمال العسكرية والسياسية التي قامت بها فرنسا منذ انتصارها في الحرب العالمية النصرمة: إنها استولت على مراكن من جهة، وعلى الشام من جهة أخرى، وجردت الحملات العسكرية على مختلف النواحي في أوربة وآسية، وأفريقية: حاربت الأتراك، حاربت العرب، حاربت الروس بعد الهدنة، اشتركت في احتلال قسم من البلاد الألمانية، وأقدمت بمفردها على الاستيلاء على قسم آخر منها؛ ساعدت دول بولندا، وتشيكوسلوفاكيا في تسليحاتها وتنظيماتها العسكرية، وفلت أحاييل الحلف الكبير والحلف الصغير، وأخذت تدر دفة السياسة الأوربية بصوت مسموع ومكانة مرموقة. وأتقت مبالغ طائلة في سبيل تشييد «خط ماجينو» على طول الحدود الألمانية،

ورصمت البلاد السورية والمراكشية بمدد كبير من الواقع العسكرية... فكيف يجوز والحالة هذه أن نقول إن فرنسا لم تفكر إلا في السلم، ولم تتسلح إلا باليهود والمواثيق؟

اليهود والمواثيق؟ هل أحترمها فرنسا - مثلاً - في سياستها السورية؟ ألم تكن أعمالها هناك - من أولها إلى آخرها - سلسلة حركات تتلخص في القوة والعنف دون أن تنقيد بالمواثيق والمواثيق؟ ...

فالعامل الأصلي في الانهيار لم يكن عدم الاستعداد للحرب. وعلى من يخامره أدنى شك في هذا الباب أن يرجع بذكرته إلى أوائل الحرب الحالية. ويتذكر ما كان يسمعه وما كان يقرأه من الآراء والأخبار حول قوة فرنسا العسكرية: فكنا كنا نسمع كل يوم مقارنات طويلة عريضة، بين خط ماجينو وخط سيغفريد، مقارنات تنتهي بوجه عام بالدح والإطراء على الأول وبالقدح والازدراء بالثاني... كل يوم كنا نسمع ونقرأ أخباراً شتى كلها تؤكد تفوق الدفعة الفرنسية على الدفعة الألمانية وتبرهن على تفوق الطيران الفرنسي على الطيران الألماني...

ولا حاجة للبيان أن مصادر هذه الأخبار والدعايات كلها كانت فرنسية...

وكل شيء يدل على أن فرنسا كانت «تعتقد» أنها مستعدة للحرب أتم الاستعداد، وأنها ستنتصر بدون ريب. وإلا لما أقدمت على إعلان الحرب، ولأوعزت إلى بولندا بوجوب التساهل مع ألمانيا في قضية دانزيغ والممر، ولا نكبت بعد ذلك على إتمام استعداداتها؛ غير أنها لم تفعل ذلك، بل بالعكس شجعت بولندا على المقاومة، وانضمت إلى بريطانيا العظمى في توزيع «الضمانات» إلى اليمن واليسار، وعلى القريب والبعيد، ممن يطلبها أولاً يطلبها من الدول... فلا مجال للشك في أن فرنسا كانت مفروقة بقوتها ومخدوعة في قوة عدوتها..

من المعلوم أن القوة من الأمور النسبية؛ فالقوى بالنسبة إلى شيء، قد يكون ضعيفاً بالنسبة إلى شيء آخر، والغلط في التقدير في مثل هذه الأحوال قد ينتج من غلط في تقدير القوة نفسها، أو في غلط في تقدير القوة المقابلة لها، أو من غلط في كلا الأمرين... إن سير الوقائع يدل دلالة قطعية على أن فرنسا أخطأت خطأ فاحشاً في تقدير قوة ألمانيا...

وجرتهم إلى الحرب والاضطدام مع قوى تفوق قواهم تفوقاً عظيماً ... وأدت بذلك إلى انخراطهم في الانحلال الربيع .

والآن ، بعد أن حدث ما حدث فظهرت الحقائق للعيان ، تبين بصورة لا تترك مجالاً للشك أن الجيش الألماني الذي هاجم الجيش الفرنسي ، كان يفوقه تفوقاً عظيماً من جميع الوجوه المادية والمعنوية . كان يفوقه تفوقاً بارزاً من حيث العدد والتجهيزات والانضباط والقيادة ... وبتميز أقصر ، من حيث الكمية والكيفية ...

من المعلوم أن ألمانيا كانت جردت من السلاح ، وحُرمت من حق التسليح بعد الحرب العالمية ، فظلت محرومة من الأسلحة ومن صانعيها مدة تزيد على عشر سنوات ، فعندما بدأت تسليح مؤخراً - سرّاً في بادئ الأمر ، وعلناً في نهاية الأمر - لم تنفذ بشيء من القديم - بطبيعة الحال ... فاستحضرت أنواعاً جديدة من الأسلحة الحربية ، وابتكرت أنواعاً جديدة من أساليب الحرب . ويظهر أنها كانت تمكث من ابتكار أنواع عديدة ، فاستفادت من كل نوع منها في إحدى صفحات حروبها التتالية في بولندا ، وفي النرويج ، وفي هولندا ، وعندما جاء دور هجومها على فرنسا استطاعت مفاجأتها بوسائل وأساليب حربية أخرى ، أفسدت على الجيش الفرنسي جميع الخطط التي كان قد وضعها ...

وزد على ذلك أن الجيش الألماني الذي انقض على الجيش الفرنسي يمثل هذه الوسائل الحربية الجديدة ، كان متفوقاً عليه تفوقاً كبيراً من حيث العدد أيضاً . وإذا بحثنا أسباب هذا التفوق العددي نستطيع أن نذكر أموراً كثيرة منها مساعدة الموقع الجغرافي ، وسير صفحات الحرب ، وكثرة وسائل النقل ، ونظام خطط التعبئة .. وما أشبه ذلك من العوامل والأسباب ، غير أننا - مع كل ذلك - نضطر إلى التسليم بأن السبب الأصلي يعود إلى كثرة العدد ؛ إذ من المعلوم أن عدد نفوس ألمانيا يناهز ضعف عدد نفوس فرنسا ، فلا غرابة ، والحالة هذه أن يتفوق جيشها على جيش فرنسا تفوقاً كبيراً من حيث العدد أيضاً .. وبما يجدر بالاتباع أن قضية عدد السكان كانت من القضايا التي أخذت تشغل بال الفرنسيين وكثير غمّاهم منذ مدة غير يسيرة ، فإن

فيجدر بنا أن نسأل إذاً : لماذا أخطأت فرنسا كل هذا الخطأ الفاحش في تقدير قوة عدوتها ؟

إنني أعزو سبب ذلك إلى انخداع فرنسا بأقوال اللاجئين الموترين الذين هربوا من ألمانيا أو طردوا منها ... وقد فتحت فرنسا أبوابها لهؤلاء ، وأرادت أن تستفيد منهم ومن شكواهم ودعائهم في إثارة الرأي العام العالمي ضد ألمانيا واستائته نحو فرنسا ... في حين أن القسم الأعظم من هؤلاء اللاجئين كانوا من الطفيليين الموترين الذين لا يرتبطون بأى وطن من الأوطان المتيدة ارتباطاً قليلاً ، ولذلك أخذوا يصورون ألمانيا على غير حقيقتها ؛ صوروا النظام الجديد الذي قام في ألمانيا بصورة مجموعة من التعسف البربري تقوم به جماعة من الطغاة فيكرهها جميع الناس . قالوا إن كل الناس ينفرون من النازية نفوراً شديداً ويستعدون للثورة عليها استعداداً كبيراً . كلنا سمعنا انعكاسات هذه الأقوال والدعيات . ألمانيا على أبواب ثورة داخلية ستندلع نيرانها قريباً فتجرف المحتلة جرفاً عنيفاً ... كل شيء ردىء هناك ، حتى المعادن التي تصنع منها الأسلحة ، حتى الأشمنت الذي يستعمل في بناء الحصون لم يكن من الأنواع الجيدة ...

لقد فتح الفرنسيون أبواب بلادهم لمئات الألوف من هؤلاء الموترين على مصراعها ، كما فتحو آذانهم لجميع دعاويهم ودعائهم ، وصاروا يصدقون كل ما يقولونه ، ولا سيما أن ما يقوله هؤلاء كان موافقاً لما يتمناه الفرنسيون كل التعنى ... وأنا أميل إلى الاعتقاد بأن ذلك كان من أهم الأسباب التي أدت إلى انخداع فرنسا في تقدير قوة عدوتها ، وأدت بها إلى الانكسار الفظيع ...

فقد أفادت الجرائد كثيراً في ذكر أعمال الذين سماهم باسم « الطابور الخامس » وبحثت كثيراً عن الدور الذي لعبته الجماعات التي كانت تقوم بدعابات متسيرة - على حساب ألمانيا - ويهيئون بذلك الجو النفسى اللائم لعمل الجيوش الجرارة غير أنني أقول : إن عمل أرتال اللاجئين في فرنسا لم يكن أقل تأثيراً من عمل الطواير الخامسة في النتيجة النهائية . فإن أرتال اللاجئين الموترين أضروا فرنسا من حيث كانوا يريدون خدمتها ؛ وخدموا ألمانيا من حيث كانوا يعتقدون إضرارها ... لأن دعائهم خدعت الفرنسيين خدعة قوية في قوة ألمانيا ،

التفوق على أعدائها من جهة النفوس أيضاً
غير أنه مما لا مجال للشك فيه أن الجيوش التي تجمع من
أهالي المستعمرات — وتساق إلى ساحات الحروب سوقاً ومحمل
على رخوض غمار الحرب — دون أن تشر بدافع باطنى يحجب
إليها الاستئثار ، أن مثل هذه الجيوش لا يمكن أن تتكافأ والجيوش
الوطنية التي تعمل ومحارب بشعور وطنى وإيمان قوى ...

وأما الاتفاقات السياسية — فقاما تستقر على حال ؛ فلا
تستطيع أن تضمن المستقبل في جميع الأحوال ، لأن منافع الدول
والأمم معضلة أعضاء شديدا ، ومتشابكة تشابكا كبيرا . فإذا
رأت دولة ما أن من مصلحتها أن تتفق مع دولة أخرى في بعض
الظروف ، فقد ترى من مصلحتها أن تلزم الحياد ، أو تتفق مع
غيرها عند تبدل الظروف . إن نظرة بسيطة إلى قلب الاتفاقات
السياسية وتطور التكتلات الدولية تكفي لاثبات ذلك للبيان ...
هذه إيطاليا ، فقد انضمت إلى فرنسا وإنجلترا ، ضد روسية
في حرب القرم ، ثم اتفقت مع ألمانيا ضد فرنسا بعد استيلاء
الأخيرة على تونس ؛ ومع هذا لقد انضمت إلى أعداء ألمانيا
خلال الحرب العالمية ، وفي الأخير عادت واتفقت مع ألمانيا ضد
أعدائها في الحرب الحالية ...

وهذه إنجلترا ، فقد حاربت فرنسا في عهد نابليون ، ثم اتفقت
معه ضد روسيا في حرب القرم ، ثم اتفقت مع اليابان فشجمتها
على محاربة الروس بعكس ما عملته فرنسا عندئذ ، ثم اتفقت مع
فرنسا وروسية ضد ألمانيا في الحرب العالمية ، ثم حاربت روسيا بعد
انتهاء الحرب المذكورة ، وفي الأخير بذلت الجهود الجبارة بالاتفاق
معهما قبيل الحرب الحالية . وكذلك الأمر في علاقات إنجلترا
مع تركيا فإنها كانت على الدوام يوماً لها ويوماً عليها ...

ونحن نستطيع أن نذكر عشرات الأمثلة لذلك ... مما يدل
على أن مثل هذه الاتفاقات لا توجد موازنات مستقرة — بين
تطور المنافع وقلب الاتجاهات ...

ولذلك كله سارت الأمور خلال الحرب الحالية سيرا
غريباً — بالرغم من الاتفاقات والضمانات السابقة — وقد أدى
هذا السير إلى بقاء الجيش الفرنسى — في آخر الأمر — وحيداً
إزاء الجيش الألماني في ساحات الحرب ... فازداد بذلك تأثير
التفوق المزدى زيادة هائلة ... (من)

الاحصاءات الموجودة تدل على أن نفوس فرنسا كانت مساوية
لنفوس ألمانيا سنة ١٨٦٥ غير أنها لم ترد بعد ذلك خلال سبعين
سنة — أى حتى سنة ١٩٣٥ — إلا ثلاثة ملايين ، في حين أن
نفوس ألمانيا — زادت — خلال المدة نفسها — أكثر من
ثلاثين مليوناً ...

لا شك في أن قضية النفوس وحدها لا تكون من القضايا
الحاسمة في سير التاريخ ؛ فإن التاريخ يرينا أمثلة كثيرة من تغلب
الأمم الصغيرة على بعض الأمم الكبيرة ، بالرغم من قلة عدد نفوسها ،
غير أن مثل هذه الحوادث لا تحدث عادة إلا عندما يكون هناك فرق
عظيم بين الأمتين ، من حيث مستوى الحضارة والثقافة ، وشدة
الروابط الاجتماعية وقوة الإيمان القوى ... وأما إذا كانت الأمتان
متقاربتين من هذه الوجوه الثقافية والاجتماعية — كما هي الحالة
في فرنسا وألمانيا الآن — فمن الطبيعي أن تكتسب قضية النفوس
خطورة خاصة ، وتؤثر في سير التاريخ تأثيراً كبيراً .

فقد اتبته عدد غير قليل من الكتاب والمفكرين في فرنسا إلى
الخطر الذي أخذ يحدق ببلادهم من جراء نقص عددها ؛ حتى إنه ظهر
بينهم من قال : يجب أن نعلم بأننا في كل سنة من السنين التي تمر
علينا على هذا النوال نخسر معركة ونفقد جيشاً دون أن نقدم على
حرب ودون أن نشعر بهذه الحسارة ، في حين أن ألمانيا — بعكسنا —
تربح في كل سنة معركة وتحصل في كل سنة على جيش جديد ،
دون أن تقدم على حرب ودون أن تضحي شيئاً في سبيل ذلك ...
إلا أن الأمور ظلت على حالتها هذه بل زادت خطورة من
خبراء التدابير المتخذة في ألمانيا في هذا السيل — لقد وضعت
ألمانيا عدة قوانين واتخذت عدة تدابير لضمان تكاثر النفوس — زيادة
على سيره المعتاد — في حين أن فرنسا لم تخرج عن ساحة النقص
والبحث في هذا المضمار ، ولم تقدم على وضع قانون يعالج هذه
القضية الحيوية بعض العلاج إلا قبل اندلاع نيران الحرب الحالية
كان يأمل رجال السياسة في فرنسا التغلب على الشاكل
والمخاطر التي تنجم عن مسألة النفوس بوسيلتين غير مباشرتين .
الأولى — التجنيد من المستعمرات ، وتقوية الجيش الوطنى
بجيش المستعمرات .

الثانية — تكوين اتفاقات سياسية وعسكرية تربط فرنسا بكتل
كبيرة قوية ، تكفى للملافة نقص النفوس الأصلى ، بل تضمن

الشعر مجرى الشعراء الآخرين ، قدح وهجا وتفرل ورثي
ووصف الخ .

وقد قال أبو العلاء في مقدمة سقط الزند :

« وقد كنت في ربان الحداثة ، وجنّ النشاط ، مائلا في
صفو القريض ، أعتده بعض مآثر الأديب ، ومن أشرف مراتب
البليغ . ثم رفضت رفض السبق غرسه ، والرأل تريكنه ؛ رغبة
عن أدب معظم جنيده كذب ، وردبته ينقص ويحدب » .

وقال مستطلي أبي العلاء الذي كتب ثبت كتبه كما رواه
ياقوت في معجم الأدباء :

« ومن غير هذا الجنس كتاب لطيف فيه شعر قيل في الدهر
الأول يعرف بكتاب سقط الزند وهو ثلاثة آلاف بيت » .

وفي سقط الزند قصائد قالها في بغداد ، وأخرى أرسلها إلى

بغداد بعد رجوعه إلى المرة سنة أربعمائة ، وأبيات قيلت بعد سنين
كثيرة من اعتكافه في المرة كالبيتين اللذين مدح بهما القاضي
ابن نصر المالكي^(١) . فإن هذا القاضي مر بالمرة في طريقه من
بغداد إلى القاهرة ، ولم تطل إقامته بمصر ، فتوفى بها سنة اثنتين
وعشرين وأربعمائة ، فقد نظم المعري هذين البيتين حوالي سنة
عشرين وأربعمائة . ومرثية جعفر بن علي بن المهذب التي مطلعها :

أحسن بالواجد من وجده صبر بعيد النار في زنده

والجموعة الثانية هي التي سماها « لزوم ما لا يلزم »

— ٢ —

هذه المجموعة الثانية من أشعار أبي العلاء قد نظمت بعد
رجوعه من بغداد . وقد خط خطها ، وتكلف لها ما تكلف من
لزوم ما لا يلزم ، ومن استيعاب الحروف الهجائية على الحركات
الثلاث والسكون . قال في مقدمتها :

« كان من سوائف الأقضية أني أنشأت أبنية أوراق توخيت
فيها صدق الكلمة ، وزهتها عن الكذب والخيال . ولا أزعها
كالسوط التخذ ، وأرجو ألا تحسب من السميطة . فنها ما هو
تمجيد لله الذي شرف عن التمجيد ... الخ » .

وقال في المقدمة كذلك :

لزوم ما لا يلزم

متى نظم وكيف نظم ورتب ؟

للدكتور عبد الوهاب عزام

عبد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

—>>><<<—

عنيت بأبي العلاء المعري ناشئاً ، وكنيت في أخباره وأشعاره
تليداً . وما زلت معنياً به حافظاً لأخباره وأشعاره . واللزوميات
أعظم آثار الرجل ، وهي سجل عقائده وآرائه ، ولها النصيب
الأوفر من أحاديث من يتحدثون عن المعري ، وكتابة من يكتبون
في فلسفته .

وكثيراً ما سألت الأدباء وسألت نفسي : متى نظمت اللزوميات
وكيف رُتبت ؟ أخط الشاعر خطها ثم نظمها ولاءً على ترتيب
حروف الهجاء ، فأثاره فيها متواليية على هذا الترتيب ؛ ما تضمنه
أبيات على روى المرة مقدم زماناً على ما يذكر في أبيات على
روى الباء وهل جرا ؟ أم نظم الرجل ما نظم ثم رتبته على حروف
الهجاء ، فقد متأخراً وأخر متقدماً ، مسيرة للترتيب الهجائي ؛
فما يعرف التتقدم والمتأخر من شعر الرجل إلا ما دلت عليه حوادث
مذكورة فيه ، ولا استطاع تتبع أفكاره ورعاية تطورها على الزمان ؟
وكنيت أقول إنه لا بد لمؤرخ أبي العلاء من أن يفصل في هذه
القضية ، فيجزم بأن اللزوميات مرتبة على الزمان أو غير مرتبة .
لذلك أعنت قراءة اللزوميات مستوعباً ، متقصياً الأبيات
التي تذكر فيها حوادث معروفة أو رجال معروفون ، والتي تذكر
فيها من أبي العلاء أو حاله من الشباب والكهولة والشيخوخة .
وراجعت ما أراه التاريخ من أخبار الرجل ، وذكر كتبه ،
فانتهيت إلى القضاة التي أسجلها فيما يأتي :

— ١ —

متى نظمت اللزوميات

جمهرة شعر أبي العلاء في مجموعتين : الأولى تتضمن شعر
الصبا والشباب ، وهي التي سماها سقط الزند . وقد جرى في هذا

(١) والمالكي ابن نصر زارني سفر بلادنا عهدنا النأي والغرا

إذا تفقه أحياء مالكا جندلا وينشر الملك الضليل إن شعرا

« وقد تكلفت في هذا الكتاب ثلاث كُلف :

الأولى : أنه بتنظيم حروف المعجم عن آخرها

والثانية : أن يجيء رويّه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك

والثالثة : أنه لُزم مع كل روى فيه شيء لا يلزم من ياء

أو تاء أو غير ذلك من الحروف »

فهذا شعر حُدّد موضوعه واختير له نظام في القوافي ،

وترتيب على الحروف وحركاتها ، وكأنه كتاب من كتب العلوم

اتصل تأليفه حتى كل ، وهي خطة تسلي بها المعري في عزله ،

فينبئ أن يكون تاريخه متصلاً ونظمه متوالياً

وأنا أدعى أن ما تضمن هذا الكتاب من الآراء هو فلسفة

أبي العلاء في عزله بعد ستة أربعمائة ، وأن هذا الكتاب كله ،

إلا أن تشذ أبيات قليلة ، نظم بعد هذه السنة .

يدل على هذا أن أبا العلاء قال في مقدمة السقط : إنه رفض

الشعر . وقال في مقدمة اللزوميات : « وقد كنت قلت في كلام

لي قديم: إنى رفضت الشعر رفض السقب غمرسه ، والرأى تريكته ،

والنرض ما استجيز فيه الكذب . واستعين على نظامه

بالشبهات . فأما الكائن عظة للسامع ، وإيقاظاً للمتوسن ،

وأمرأاً بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جُبلوا على الفس

والسكر ، فهو إن شاء الله مما يلتبس به الثواب »

فهذا النظم الذي توخى فيه العظة والإيقاظ كان بعد النظم

الذي جرى فيه مع الشعراء ، ثم رفضه رفض السقب غمرسه ،

والرأى تريكته كما تقدم

ودليل آخر أنه ذكر سنّه في كثير من أبيات اللزوميات

تصريحاً وتلويحاً ، ولم يذكر ما دون الأربعين ، وهو قد بلغ

الأربعين سنة ثلاث وأربعمائة إلا يوماً واحداً في حذو القامة :

إذا هبت جنوب أو شمال فأت لكل مقتاد جنب

رويدك إن ثلاثون استقلت ولم ينب الفتى فتي ينب ؟

والخطاب في هذا البيت إما أن يكون لغير الشاعر ، وإما أن

يكون بعض اللزوميات قد نظم حين جاوز الثلاثين قبل سفره إلى

بغداد ، وإما أن تكون هذه القطعة نظمت كذلك بعد رجوعه

من بغداد واعتزاه الاعتزال ، وكانت سنّه حينئذ سبعمائة وثلاثين

سنة ، فقد مضت الثلاثون ولم يبلغ الأربعين ؟ فليس بعيداً أن

يذكر مرور الثلاثين . ومهما يكن فجمهرة الكتاب نظمت بعد
سنة أربعمائة كما أسلفت .

ودليل آخر على أن أبا العلاء شرع ينظم اللزوميات بعد رجوعه

من بغداد بقليل ، أنه يذكر في اللزوميات - كما فعل في سقط

الزبد - رحلته إلى العراق آسفاً على الرحيل وعلى الأوبة . وهذا ،

في غالب الظن ، لا يقال بعد مضي سنين كثيرة على هذه الرحلة :

وما بى طرق للمسير ولا السرى لأنى صرير لا تضىء إلى الطرُق

أغرباً نك السُحم استقلت مع الضحى

سوانح أم مرت حامك الورق

رحلت فلا دنيا ولا دين نلت وما أوتيت إلا السقاة والخرق

بالهف نفسى على أنى رجعت إلى هذى الديار ولم أهلك ببغداد

إذا رأيت أموراً لا توافقى قلت الإياب إلى الأوطان أدّى ذا

شئت يا همة عادت شامية

من بعد ما أوطنت عصاراً ببغدادى

- وأزيد على هذه الأدلة أن أبا العلاء ذكر سن الأربعين مرات

في اللزوميات ، وقد بلغها بعد رجوعه بسنين ثلاث

- ٣ -

إن كان المعري شرع ينظم لزوم ما لا يلزم حين رجع من

بغداد أو بعد رجوعه بقليل ، فكم استمر ينظمها ، ومتى انتهى

من نظمها وجمعها ورتبها وكتب لها المقدمة التي كتب ؟

يمكن أن نجيب على هذا السؤال بوسيلتين : الأولى تتبع الحادثات

التي ذكرها الرجال الذين أورد أسماءهم في شعره ؛ والثانية استقراء

الآيات التي ذكر فيها سنّه

(١) المحاور والرجال :

١ - - أولاً : بنو عامر وطيء

يذكر أبو العلاء فتناً وخطوباً أثارها بنو عامر وطيء في

السام وما حولها ، ويسمى بعض رجالهم في مواضع كثيرة ، منها :

إذا عامر تبعت صالحاً وزججت بنو قرّة الحردبا

قال في القصيدة الثائية التي بعث بها إلى علي التتوحي بعد رجوعه من العراق :

يبنى وبينك من قيس وإخوتها فوارس تدراسكثار يسكتها
ويقول في القصيدة الطائية التي أرسلها إلى خازن دار العلم بمقداد وهو محتجب بعمرة النعمان :

وما أذهلتني عن ودادك روعة وكيف وفي أمثالها يحب القسط
ولا فتنة طائفة عامرية يحرق في نيرانها الحمد والسبط
وقد طرحت حول الفترات رجاءها

إلى نيل مصر فالوَسَّاع بها تقطو
فوارس طعانوت ما زال للفنا

مع الشيب يوماً في عواضهم وخط
وكل جواد شفه الركض فيهم ووج يتمنى أن فارسه سقط
ونسالة من بحتر لو نعمدوا بليل أناسي النواظر لم يخطوا
فما هذه الفتن التي ذكرها أبو العلاء ومتى كانت ؟

(بيع) عبد الوهاب عزام

وأردف حان في مايج متى هبطوا نخصباً أجديا
وإن قرعوا جبالاً شاعياً فليس يُعْنَف إن يحدّيا
رأيت نظير الدبا كثرة فتيرهم كميوت الدبا
ومنها :

ألم تر طيئاً وبني كلاب سوا للاد غزاة والعريس
ولو قدروا على الطير النوادي لما نهضت إلى ذكر بريس
ويذكر طيئاً وزعيمها حان في قوله :

قد أشرعت سنيس ذوابلها وأرهفت بحتر معايلها
لفتنة لا تزال باعثة راعها في الوغى ونابلها
حسان في الملك لا يحس لها ترجي إلى موتها قنابلها
ويقول :

أرى حلياً حازها صالح وجال سنان على جلقا
وحان في سلقى طيئ يصرّف من عزه ألقا
فلما رأيت خيلهم بالفبار تناموا على هامهم علقا
رمت جامع الرملة المستنظام فأصبح بالدم قد خلّقا الخ
وقد رثي للرملة كثيراً وحزن لما ناب أهلها ؟ يقول :
والرملة البيضاء غودر أهلها بعد الرفاعة يأكلون قفارها

عتروا الفوارس بالصوارم والقنا

والملك في مصر يستتر فارها (١)
جملوا الشفار هواديا لتنوفة مرهاء تكحل بالدجى أشفارها
تكبو زناد القادحين وعامر بالشام تقدح رخصها وعافارها
ويقول :

أيا قيل إن الفارس مال بحرهما مقيم صلاة والمهند وارس
وبالرملة الشقاء شيب وولدة أصابهم مما جنت الدهارس
وقد ظهرت أملاك مصر عليهم فهل مارست من ظلمها ما تمارس ؟
وأحسن منكم في الرعية سيرة طفج بن جف حين قام وبارس
وقد ذكر العري هذه الحادثات في سقط الزند كذلك ، إذ

(١) الملك في مصر كان للفاطيين حينئذ وكان الخليفة منهم الظاهر (٤١١ - ٤٢٢) فهو يلوم الفاطيين على أن تركوا هذه القبائل تعيث في الأرض ولم يأمروا بتغيير فارات الملك يطيبون بها لا بغير الفوارس والعترة الذئب .

لسلي والعبيط وبحبي

هي قصة اليوم
قصة النفس الحائرة
قصة الأديب الشقي السعيد
قصة الحياة كما هي
قصة الضحك والبكاء

دار المعارف للطباعة والنشر في ٢٧٢ صفحة
نمها ٢٥ قرشاً - تولى نشرها المؤلف
يطلب من : مكتبة المعارف ، والهضة ، والانجلو ، والأهلية ،
وال تجارية ، وغيرها .
المؤلف : الياس عكاوي ١٧ شارع بزاد الأول القاهرة
تليفون ٤٣٩٠٩

فصل كتاب :

يتيمة الدهر

للووزير السيد أبي الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي

الاستاذ برهان الدين الداغستاني

—•••••—

كنت أظن أن اسم « يتيمة الدهر » وقف على كتاب أبي منصور الثعالبي المعروف ، حتى عثر منذ سنوات في خزنة المرحوم أحمد تيمور باشا — على رسالة صغيرة الحجم بمسماة بـ « يتيمة الدهر » للوزير السيد أبي الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي رضي الله عنه .

وهذه الرسالة في ٦١ ورقة مكتوبة بخط نسخي جميل مشكول وكل صفحة في أحد عشر سطراً ، وعلى الرغم من شدة عناية المرحوم تيمور باشا بخطوط خزائنه ، وحرصه الزائد على ذكر مؤلفيها وبيان عصورهم وطرف من تراجمهم — لم أجد في فهرس الخزانة ما يكشف الفطاء عن شخصية مؤلف هذه الرسالة ، وأخذت أقلب الكتاب لعل أجد في ثناياه ما ينم عن هوية مؤلفه فلم أجد إلا تلك العبارة المسطرة في رأس الصفحة الأولى منه وهي :

« كتاب يتيمة الدهر . بسم الله الرحمن الرحيم . قال الوزير السيد أبو الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي رضي الله عنه : الحمد لله العلي الكبير ، القوي القدير ، العليم الخبير ، السميع البصير ... إلى أن يقول : أما بعد ، فإن أحق ما نطق به لسان ، وأعرب عنه بيان ، وانطوى عليه كتاب ، وانتهى إليه خطاب ، ما زاد في قوة البصيرة ، وعاد بصحة السريرة ، وطرق طرائق السدل ، وبين حقائق الفضل ، فصارت ذكراً للأخيار ، ومزجراً للأشرار ، وقوة لأولى الأبواب والأبصار ، وإماماً للعالم ، وقواماً للأعمال ، يرجع إليه الساسة ، وتبنى عليه السياسة ، وتنظم به الأسباب ، وتتجمع فيه الآداب .

وإن الأدب أذبان : أدب شريعة ، وأدب سياسة ؛ فأدب الشريعة ما قضى القرض ، وأدب السياسة ما عمر الأرض ،

وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان ، وعمارة البلدان ، وصلاح الرعية ، وكامل الزمة ، لأن من ترك القرض ظلم نفسه ، ومن خرب الأرض ظلم غيره . في مقدمة طويلة على هذا النسق من سجع قصير غير متكلف استغرق ثمانى صفحات من الأصل إلى أن يقول في آخر المقدمة : « وقد جمنا من إنشائنا في كتابنا هذا ألفاظاً وجيزة ، وأجربناها بحرى الأمثال ، وفصولاً قصيرة قد حملناها عمدة اللواة والعامل ، وعدة للعقلاء وذوى الأعمال ، وقصدنا فيها ألفناه من ذلك وجه الاختصار ليقل لفظه ، ويسهل حفظه ، وجعلناه ألف فصل ومثل في ثمانية أبواب :

الباب الأول : في الاستعانة على حسن السياسة

الباب الثاني : في الاستعانة على فضيلة العلم والعمل

الباب الثالث : فيما يستعان به على الزهد والعبادة

الباب الرابع : فيما يستعان به على أدب اللسان

الباب الخامس : في الاستعانة على أدب النفس

الباب السادس : في الاستعانة على مكارم الأخلاق

الباب السابع : في الاستعانة على حسن السيرة

الباب الثامن : في الاستعانة على حسن البلاغة

واستعنا فيما وضناه من ذلك بالله الجليل ، وهو حسبنا ونعم

الوكيل .

* * *

ثم قام أحد الناشرين بطبع هذا الكتاب ، وكتب له أحد كبار رجال القضاء الشرعى مقدمة نفيسة ، وصرح كاتب المقدمة بأنه لم يعثر على ترجمة المؤلف ، ولم يشر إلى أن هذه الرسالة طبعت قبل هذه المرة

والواقع أن هذه الرسالة قد طبعت في القاهرة من نحو خمسين سنة ، وإذا أردنا التحديد قلنا : إنها طبعت سنة ١٣١٧ هـ بمسماة بغير اسمها ، منسوبة إلى غير مؤلفها ، فقد طبعت على هامش كتاب « نثر النظم وحل المقدم » لأبي منصور الثعالبي ، وسميت « كتاب الفرائد والقلائد » ، ونسبت إلى أبي منصور الثعالبي أيضاً ، وذلك بالمطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم عصر سنة ١٣١٧ هـ ، ثم طبعت هذه الرسالة مرة أخرى بعنوان « كتاب الأمثال المسمى بالفرائد والقلائد » ، وسمى أيضاً بالمقدم النفيس ونزهة الجليس ،

كنت أبليت غير الواجب فلا يحملنك على ترك الواجب ، ثم إن
لى فى آل الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد قد نظمت حاشيتى
البر والبحر ، وركبت الأفواه ، ووردت المياه ، وسارت فى البلاد ،
ولم تسر بزاد ، وطارت فى الآفاق ، ولم تسر على ساق ، ولكنى
لا أتسوق بها لديكم ، ولا أتفق بها عليكم . وللاخرة قلبها
لا للحاضرة ، وللدن اذخرتها لا للدنيا

قَالَ : أنشدنى بعضها فقلت :

يا لمة ضرب الزمان على معرستها خيامه
لله درك من خزاى روضة عادت تقامه
لرزية قامت بها للدين أشرائط القيامه
لخروج بدم النبوة ضارب بيد الأمامه
تقيم بظلمة السيوف مجرع منها حمامه
منع الورود وماؤه منه على طرف التمامه
نصب ابن هند رأسه فوق الورى نصب العلامه
إلى آخرها ، وهى قصيدة فى نحو خمسة وعشرين بيتاً كلها على
هذا الطراز

قال البديع : « فلما أنشدت ما أنشدت ، وسردت ما سردت ،
وكشفت له الحال فيما اعتقدت ، انحلت له العقدة ، وصار سلفاً ،
يوسعنا حلماً »

هذا كل ما وجدته عن السيد أبى الحسين ، ومنه يظهر مكانه
فى العلم والأدب ، كما يعلم أنه من معاصرى البديع والخوارزمى
ومقارعهما ، وأنه كان موجوداً فى أواخر القرن الرابع الهجرى
حتى أن نعرف : هل هذا السيد الذى قص البديع الحمذاني
خبره - هو الوزير السيد أبى الحسين بن أحمد بن الحسن بن على
رضى الله عنه صاحب كتاب بتيمة الدهر ؟ .

ذلك ما لا شئيل إلى الجزم به الآن ، ولعل فى قراء « الرسالة »
القراء من يعرف عن كتاب « بتيمة الدهر » ومؤلفه السيد
أبى الحسين أكثر مما نعرف . فإلى أولئك أوجه الرجاء أن يتفضلوا
بنشر ما لديهم من المعلومات مشكورين .

برهان الدين الراغستاني

ونسب فى هذه المرة أيضاً إلى أبى منصور الثعالبي . وهذه الطبعة
مطبوعة فى مطبعة التقدم التجارية بحارة المنبة رقم ١٠ بشارع
محمد على بمصر وليس عليها تاريخ الطبع

وهكذا فقد طبع هذا الكتاب مرتين - ولعله طبع مرات
أخرى لا نعرفها - مسمى بغير اسمه الحقيقي - ونسب إلى غير
مؤلفه فى كلتا المرتين ، حتى عثر على نسخة الخزائن التيمورية ،
معرفة أن اسمه الحقيقي هو « بتيمة الدهر » ، وأن المؤلف هو
الوزير السيد أبى الحسين بن أحمد بن الحسن بن على رضى الله عنه .

بقى أن نعرف من هو السيد أبى الحسين صاحب كتاب « بتيمة
الدهر » ؟ وفى أى عصر عاش ، وما هى مكانته الأدبية ؟

لقد أطلت البحث عن ترجمة للسيد أبى الحسين ، وبدلت
كثيراً من الجهد والوقت ، ولكن حياة هذا السيد الكريم
ما زالت غامضة خفية . لم أستطع كشف القناع عنها ، فإنى مع
كثرة ما بحثت وراجعت من المراجع لم أجده للسيد أبى الحسين
ذكر إلا ما ورد فى رسائل بديع الزمان الحمذاني فى سياق تلك
المنظرة التاريخية التى وقعت بين البديع والخوارزمى فى نيسابور
سنة ٣٨٣ هـ ، فقد ذكر البديع الحمذاني باسم السيد أبى الحسين
أكثر من مرة واحدة فى أثناء حكايته لتفصيلات تلك المناظرة ،
وذكر أن السيد أبى الحسين كان أحد شهود المناظرة المحكمين ،
وأنه كان يناصر الخوارزمى ، وأن الخوارزمى كان يلجأ إليه ويحضره
بالحديث والالفتات فى الجلسة الأولى للمناظرة ، فلما كان المجلس
الثانى احتال البديع على السيد أبى الحسين ، واستأله إلى جانبه
بقسيمة أنشده إياها فى مدح أهل البيت والتشجيع لهم ، واستمع
إلى البديع حيث يقول : « ... ثم حضر السيد أبى الحسين وهو
ابن الرسالة والأمامة ، وعامر أرض الوحي ، والمحتب بفناء النبوة ،
والضارب فى الأدب بمرقه ، وفى المنطق بمحذقه ، وفى الإنصاف
بمحسن خلقه ، فغشم إلى المجلس قد سيفه ، وجعل يضرب عن هذا
الفاضل - أبى بكر الخوارزمى - بسيفين لأمر كان قد موه عليه ،
وحدث كان قد شبه لديه ، وفطنت لذلك فقلت : أيها السيد !
أنا إذا سارغيرى فى التشيع برجلين ، طرت بمجنحين ، وإذا متَّ
سواى فى موالاة أهل البيت بلحمة دالة توصلت بفرقة لأئمة ، فإن

البلاغة العصرية

واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

للأستاذ أحمد محمد الحورفي

—•••••—

موضوع الكتاب — اسم على غير مسمى — الأسلوب التلغرافي —
اللغة العربية وحرية المرأة — البلاغة والناطق — لتنا حرية استقرائية
عقيدية — دار العلوم والناطق — دار العلوم والاصلاح الفئوي —
دار العلوم للسلين — أبو تمام والثقافة

— ١ —

لم يكدر يفرغ الأستاذ الكبير أحمد حسن الزمات من دفعه
التصنيف المجيد عن البلاغة حتى أخرج الأستاذ سلامة موسى
هذا الكتيب . ولقد يتوسم قارى اسمه أنه محاولة موفقة لتجديد
البلاغة العربية ، أو تقيد ونقض لبعض أسسها القائمة ، لكنه
إذا ما أتمه دهن من انقطاع الصلة بين العنوان والمعنون ، فليس
فيه تجديد ولا نقض ، اللهم إلا الدعوة إلى أن تجارى لتتنا عصرنا ،
وتعاشى حياتنا ، وهى دعوة قديمة قال بها عبد العزيز الجرجاني
وعبد الكريم النشلي وغيرهما ، وإنما اثر المؤلف فى بحثه سواح
عنت له فى نشأة اللغة ، وعلاقتها بالمجتمع ، وضرر اللغة ، والتفسير
الاقتصادى للغة ، والفصحى والعامية الخ ، فن المغالطة أن يسمى
كتيبه بهذا الاسم ، ومن المغالطة أن يعقد فصلا عنوانه (فن
البلاغة) ولا شئ فيه من فن البلاغة ، فهل من البلاغة المصرية
آلات تدل الكلمات على مسمياتها المبهودة ؟

— ٢ —

كرر فى بحثه الدعوة إلى الأسلوب التلغرافي « وكذلك نحن
تبع الأسلوب التلغرافي ، وتخير الكلمة التى تحمل المعنى فضلا
عن المعنى » ص ١٩

فإذا يريد به ؟ إنه يريد أن يكون الأسلوب خالياً من الروعة
والبراعة والجمال والموسيقى ، فلا يمتاز من أسلوب الخطاب المعتاد

التداول فى الشئون اليومية . يريد ألا تتفاوت الموضوعات والمناسبات
وأقدار الأدباء والقراء ، يريد (الاشتراكية) فى اللغة كما قرر فى
مواضع أخر ، ويتجافى ما تقرره البلاغة وعلم النفس من أن
الأسلوب صدق لما فى نفس منشئه ، فالانفعال القوى لا يعبر عنه
إلا أسلوب بلاغته قوة . والانفعال الحادى لا يواضعه إلا أسلوب
يشا كله دقة ، والمغات كلها نعا أحيانا عن تصوير السواطف
بكلها الوضعية ، فلا مندوحة للأديب من اللجوء إلى الخيال
وأفانين الجلال .

وإذا كان هذا رأي الذى طالما دعا إليه ، فلماذا لم يأخذ نفسه
به ؟ ما له لا يلتزم الأسلوب التلغرافي الذى يدين به ؟ ثم ما له
لجأ إلى تكرير المعانى فى هذا الكتيب ؟

على أنا إذا آثرنا الأسلوب التلغرافي فقد جحدنا ما خلفه أدباء
العالم كله من تراث فنى . ونحير إذا لازيات والعقاد والجارم
وبرناردشو وأندريه موروا وأضراهم أن يحطموا أقدارهم ،
أو يغيروا أساليبهم ، وهيهات هيهات !

وليس من الصواب الفصل بين الأسلوب والمعنى ، فهما جزء
واحد ، وهما معاً قسيان فى إثارة القارى ومجاوبته للأديب ، أو
شعوره بالتمعة الفنية ، وهما معاً شريكان فى التعبير عن خلجات
الأديب وعواطفه ، والأسلوب التلغرافي لا يحقق كل ذلك .

ولذا عرف يوفون الكتابة الجيدة بأنها « التفكير الجيد
والشعور الصادق والإيانة الممتازة مجتمعة معاً » وفى رأى يوفون
أيضاً أن « متانة الأسلوب ليست إلا ملائمة لطبيعة الموضوع ،
وهى تتولد تولداً طبيعياً من معنى الموضوع نفسه » ، وهكذا كان
يوفون نغماً عند ما يكتب فى التاريخ الطبيعى ، ومهلاً يستخدم
الألفاظ الشائعة فى رسائله إلى أصدقائه المقربين (١) .

والأستاذ سلامة يناقض نفسه إذ يقول فى ص ١٧ « ويمكننا
أن ننظر إلى اللغة النظر الفنى فنشد بالكلمات والجل رفاهية ذهنية
لا تؤديها اللغة العلمية » وفى هذا رد على دعوته إلى الأساليب
التلغرافية ، إذ الرفاهية الذهنية ليست إلا ثمرة للروعة فى التعبير ،
والإبداع فى التصوير ، والفحولة فى التفكير .

- ٣ -

« ثم انظر إلى ما ورثنا من المجتمع العربي القديم بشأن المرأة فقد ألغى هذا المجتمع المرأة من الحياة الاجتماعية إلقاءً يكاد يكون تاماً ، أما نحن فقد « رددنا الاعتبار » للمرأة المصرية ؛ ولكن مازلتنا نستعمل الكلمات القديمة فنقول « أم فلان » أو « حرم فلان » ولا نذكر الإيم ، مع أن الإيم جزء من الشخصية وإهماله هو سبب للمرأة ... وإهمالنا لاسم المرأة هو تراث لغوي قديم يحمل إلينا عقيدة اجتماعية يجب أن نكافئها » ص ٥٩

وليس في هذا شيء من الحق ، فإن الإسلام قد رفع من شأن المرأة ، واختصها القرآن الكريم في كثير من المواضع بالخطاب ، ومنحتها الشريعة حقوقها كاملة ، ومحسناً أن الشريعة الإسلامية لم تحرمها التصرف في مالها الخاص أو الميراث إذا تزوجت ، ولم تجعل لزوجها سلطاناً على مالها ، مع أن القانون الفرنسي ما زال يعتبرها ناقصة الأهلية ، فيتصرف زوجها في مالها كما يتصرف المولى أو الوصى في مال القاصر ، وليس لها حق التقاضي إلا بإذن زوجها .

ثم إن الشريعة الإسلامية منحت المرأة حرية اختيار زوجها ، وأجازت أن تكون العصمة بيدها . وقد ضرب الرسول عليه الصلاة والسلام أرقى المثل في إعزازها والمحب عليها ورد الاعتبار لها بأفعاله وأقواله ، وطالما تنقش الشعراء بحبها والزلقي لها ، وطالما أمهت في الحركة الأدبية والعلمية والسياسية بنصيبها ، وطالما سُمِّى الرجال بأسماء أمهاتهم وبناتهم ، فليس بصواب أن المجتمع الإسلامى - ودينه الإسلام - انتقص حقوق المرأة وحقر من شأنها كما ادعى الأستاذ .

وهل تناسى الأستاذ أن أوروبا بعد ذلك العصر كانت تسوم المرأة الذلة والهوان ؟ وأن أوروبا كانت تتجادل في حقيقة المرأة إنسان هي أم شيطان ؟

ولا تحقير للمرأة في أن تطلق عليها « أم فلان » ، وإنما فيه تسكريم لها ومسرة واعتراف بالفضل ، إذ أنجبت ، وأدت وظيفتها الأولى في الحياة . ولا تحقير لها في أن نهكنى عنها بحرم فلان ؛ لأنها في عصمتها ورعايته وحمايته ، وهى تعلم أن الزواج شرفها

وحليتها وأملها ، وهل المجتمع القريب المعاصر يحقر المرأة ؟ وإلا فلماذا يطلق عليها مسز فلان وليدى فلان ومدام فلان ؟ ومن لطائف برناردشو في ذلك أن سيدة قالت له : إن الرجل قد سلب المرأة حقوقها ، فقال لها : بل سلبته هى كل شيء حتى اسمه - ؛ -

« يجب أن يكون المنطق أساس البلاغة الجديدة ، وأن تكون مخاطبة العقل غاية المشى بدلاً من مخاطبة العواطف » ص ٥٦ وهذه فكرة عاسفة تهدم أساس الشعر والنثر والفنون الجميلة عامة ؛ لأن الفنون وليدة العواطف ، واستجابة لنوازع نفسية لا صلة للمنطق بها ، ولو أنا أخضعنا كثيراً من النصوص الأدبية التى تروى للمنطق لوجدناها هباء .

فكلنا نعجب بقول النخل البشكرى :

وأحبها وتحبى ويحب ناقها بعبى
ونظرب لقول جيل :

لكل حديث ينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد
ويروعننا قول المتنبي :

تسود الشمس منا بيض أوجهن

ولا تسود بيض العذراء واللم
وكان حالهما في الحكم واحدة لو احتكنا من الدنيا إلى حكم
ويهزنا قول شوقي :

وجواهر التيجان ما لم تتخذ من معدن الدستور غير صحاح
وأى منطق فى هذا ؟

لو أنا اتخذنا المنطق وحده دعامة للأدب لا نقلب إلى حقائق جافة لا خيال فيها ولا جمال ولا سحر ، ولكن أخرى به أن يسمى علماً لا أدباً ؛ لأن خصيصة الأدب فى لغات العالم كلها أن معانيه خيالية ، وليس معنى هذا أنها بمنزلة عن منطق الحياة ، أو فيها خلط واضطراب ، وما زال العالم يكبر ما خلقه هوميروس واليونان من تراث ، وأى منطق فى أبطالهم وأعمالهم الخوارق وهم آلهة وأنصاف آلهة ؟

- ٥ -

« لفتنا لا نغشى المعارف المصرية ؛ لأنها قضت شبابها

— ٧ —

« أبناء دار العلوم هم الذين تخصصوا في اللغة ، وتخصصهم حرمهم من دراسات بشرية عدة ، فضافت آفاقهم وتبحرت لغتهم ... وهم يخشون التغيير لأسباب اقتصادية وطبقية » ص ١٤
أما أنهم هم الذين تخصصوا في اللغة وأدبها فهذا حق ، وأما أن تخصصهم حرمهم من دراسات بشرية عدة فهذا باطل ، ذلك أنهم يدرسون مع اللغة التي تخصصوا وحدهم في دراستها كما يقول الأستاذ ثقافات أخرى منها علم النفس والتربية والتاريخ والشريعة والمنطق والأدب ، والأدب المقارن والعبرية والسريانية والإنجليزية والاقتصاد والاجتماع ... الخ الخ ... وقد درسوا في تجهيزية دارالعلوم برنامج المدارس الثانوية وزادوا عليه التفسير والحديث والفقه . ولو اطلع الأستاذ على مناهجهم واستيعابهم لها وشغفهم بالبحث والدرس لغير رأيه ، أو لوجد من الخير له ألا يهاجم به إن كان له في الإصرار على الانتقاص الظالم أرب .

وأما أن المتخرجين في دار العلوم يخشون التغيير والتجديد لأسباب اقتصادية وطبقية فهذا افتراء وضغن ، فليسوا يمدون التجديد حرصاً على وظائفهم أن تزايدهم كما يزعم ؛ لأنهم دائماً في طليعة المجددين ، لكن على أن التجديد إصلاح وبناء ودعم ، لا اعتساف وثرثرة وهدم ، ثم هم قد درسوا الرأفة والتاريخ والجغرافيا في مدارس المعلمين والمدارس الحرة فبرعوا ، واستحقوا تقدير الرؤساء ، ونالوا إعجاب الطلاب ، ولم يخطر لأفئدتهم أن يقاوم تجديداً في اللغة لأنه يؤثر صالحه كما يتهم عليهم الأستاذ ، وإلا فما بالهم يحددون في منهج دار العلوم ويستقدمون أساتذة ليسوا من أبنائها ؟ وما بالهم دعوا إلى إنشاء المجمع النوى منذ ثلاثين عاماً ؟

— ٨ —

ولم ينفذ بعد تجنيبه على دار العلوم ، فيقول « ودار العلوم للمسلمين ، وهذه نظرة تربط بين اللغة والدين ... فاللغة عند زكي مبارك وابن عرب والحكومة المصرية ليست لغة الديمقراطية والأيوسيل والتلفزيون بل هي لغة القرآن وتقاليد العرب » . يخيل لي أن هذا مفتاح ضفته على دار العلوم ، فلماذا يختص بها المسلمون ؟ أليس في هذا حرص على اللغة العربية لأنها لغة الدين ؟
نعم دار العلوم للمسلمين ، لأن المسلمين ما زالوا يرون حفظ

تلايس مجتمعاً أرسطراطياً حرياً عقيدياً » ص ٧٧ ، « يجب أن تكون امتنا متمدة تنسج للتعبير عن نحو مئة وعشرين عالماً وفناً لم يكن يعرفها العرب الذين ورثنا عنهم لغتنا » ص ٢٠
أما أن لغتنا متخلفة عن ركب الحياة المصرية فهذا حق ، ولكن الوزر علينا ؛ لأن اللغة لا تنمى نفسها ، وإنما ينمىها المتكلمون بها ، وقد ركبت حياتنا أحقاباً طوالاً أروينا فيها عن العالم التجدد ، فلما أقمنا وجدنا في لغتنا قصوراً عن مجاراة الحياة المتجددة ، فعلينا أن ننمى بالاشتقاق أو التعريب

وأما اتهام اللغة بأنها وليدة مجتمع أرسطراطي حربي ديني فلم تعد صالحة لحياتنا — فجراً ودعوى باطلة ، فلم تكن الأمة الإسلامية في العصر العباسي الذي يقصده المؤلف أرسطراطية حربية دينية فحسب ، وإلا فبأية لغة ترجم المسلمون تراث اليونان والفرس والهنود والنبط ؟ أنتسج اللغة العربية للتعبير عن فلسفة أفلاطون وأرسطو والتعليق عليها وشرحها ثم تهم بأنها لغة مجتمع أرسطراطي حربي ديني فحسب فليست صالحة لنا ؟ وبأية لغة ألف المسلمون في الفلسفة والجغرافيا والفلك والرياضة والمنطق والأخلاق والكيمياء والبلاغة الخ ... الخ

وبحسبي أن المؤلف قد ناقض نفسه بقوله : « إن اللغة خدمت المجتمع العباسي أجل خدمة ، وقامت بشئون حياته » ص ٧٥
ومن عجب أن يطالب بالغاء كلمات الحرب من لغتنا ؛ لأن مجتمعنا سلمي ص ٧٧ فأى سلام هذا الذي يحلم به ؟ وأين اللغة التي تخلو من كلمات الحرب حتى نجرد لغتنا منها ؟ أو ليس من الحق أن تهم اللغة بعد قرن إذا ما جردناها من كلمات الحرب بأنها كانت لغة قوم أذلاء مستضعفين ؟

— ٩ —

« وإذا كان اللورد هوردر الطبيب الإنجليزي ينصح لكليات الطب في بريطانيا بتدريس كتاب جيفوز في المنطق في السنة الأولى من الدراسة الطبية فإننا أخرج إلى مثل هذه النصيحة في دراسة اللغة العربية في كلية الآداب أو في دار العلوم » ص ١٦
والعجب من مؤلف ينصب قلبه للإصلاح المزعوم أو الوهم ثم يتجنى أو يففل ، كأنه لا يعلم أن المنطق القديم والحديث يدرس بدار العلوم دراسة تفوق الحد الذي يتطلبه الأستاذ .

تلك الرسوم عن ذلك الجزع المقدس الذي يعتري الفنان حينما يخشى أن يفوته أو يفلت منه تعبير طارئ . أما ألوان اللحم فتوضع بسرعة وقوة وتم في ثلاث أو أربع لمسات ، وأما التثيل فينشأ عن جفاف بقع الألوان حيث تتخلف عند كل لمسة نقط عديدة لا يتسنى للريشة المعجلى جمعها والتقاطها . وهذه الرسوم الأولية تمسك وتثبت الإشارات والإيماءات الخاطفة ، وتسجل الحركة المتتابعة التي قما تلوحها العين لأكثر من نصف ثانية . وهي لا تطلعتك على الخطوط والألوان الخصب ، بل تريك الحركة وتشمرك الحياة أيضاً . إنها أخيلة المصور أكثر منها أخيلة المثال .



٧- الفن

للمنكب الفرنسي بول جيزيل
بقلم الدكتور محمد بهجت

التدخل الخامس - الرسم واللون

كان رودان يرسم كثيراً مستعيناً بقلم الجبر أحياناً بقلم الرصاص أحياناً أخرى . وكان في أول الأمر يرسم الخط الخارجي بالجبر ثم يضع الظلال بريشة . وتظهر مثل تلك الرسوم المائية كأنها أخذت عن نماذج بارزة أو منحوتة . وما كانت تلك الرسوم في جلتها إلا رؤى المثال وأخيلته . أما في العهد الأخير فكان يستعمل القلم الرصاص ليرسم الجسم العريان ثم يضع ألوان اللحم بالريشة . وهذه الأخيرة أبسط من الرسوم السابقة ، والأوضاع فيها أقل تحديداً ، ولكنها أكثر حركة وأوفى نشاطاً . فترى في بعض الحالات الجرة أو الخط قوياً عتيقاً كأن به جنة ، ترى جسماً بأكمله وقد نظمت جرة واحدة من القلم الرصاص - ونم

وأخيراً توقف رودان عن إجراء التثيل بالريشة وذلك لداومته على استعمال القلم الرصاص ، فهو يقتصر على مسح الخط الخارجي بأصبعه فينشأ عن ذلك لون فضي ينفش الأجسام كأنه الغلالة الرقيقة ، ويضفي عليها جلالاً رائعاً يجعلها تبدو كأنها غمست في الشعر والخيال .

وتلك الدراسات الحديثة أجل دراساته على ما اعتقد . فهي مضيئة ، ترخر بالحياة وتفيض بالسحر . وعند ما كنت أنظر مع رودان في بعض تلك التصاوير قلت له : « كم تختلف هذه عن تلك التصاوير الكاملة النمقة التي تصادف هوى الجمهور ؟ » فقال :

والواقع أن أبا تمام لم يقل كلمة هي أبعد عن الصحة والحقيقة من هذه الشطرة لأن السيوف لا تتحرك إلا للكلام الذي سبقها ... « ص ٨٨

فهم أن أبا تمام يفضل الحرب والقسوة على الثقافة ، كنباليون ولكن الحقيقة أن الشاعر يريد كتب النجمين الذين أرادوا أن يعوقوا المعتصم عن فتح عمورية ، والتنجيم خرافة ، فلا تريب على الشاعر ولا وجه للومه ، والشاعر يقول في القصيدة نفسها :
والمعلم في شهب الأرماع لامة
وفي الجديدين لافي السبعة الشهب

مشيراً إلى خرافة النجمين .

أحمد محمد الحوفي

(نسخ)

الدرس بالعبدية الثانية

القرآن الكريم والحديث الشريف غذاء اللغة ومعينا للأدب ، وما زالوا يحرسون على سلامة اللغة وبقائها ليبقى الدين ويبقى القرآن الكريم . ولأى ضرر في أن يكون للغة علاقة بالدين ؟ أريد الأستاذ أن يهاون أبناء دار العلوم باللغة فلا إعراب ولا فصاحة ولا تحرز من أن تنشأ الكلمات الأعجمية وإن استطننا وضع معانيها من لغتنا العربية كما صرح بذلك في كتابه حتى يصبح القرآن غريباً في هذه اللغة وهو منها الروح الملهم والمدد الذي لا يفيض ؟ أم يريد ألا يدرس أبناء دار العلوم دينهم ولا يملأوا فيما بعد تلاميذهم ؟

- ٩ -

« وقد كان نباليون يصف الأدباء بأنهم تجار الكلمات ، ولأنهم تمام شطرة من بيت كثيراً ما تذكره :
« السيف أسدق أبناء من الكتب »

الإجادة والسمو ولا تكون تلك الصفات إلا نور الحقيقة منبعثاً من مصباحها .

يعجب الناس برسوم رفايل بحق ، ولكن يجعل بهم ألا يعجبوا بها لذاتها أو لآثران خطوطها آثراً بارعاً ، وإنما يعجبون بما تنطوي عليه من المعاني . وأما محاسن هذه الرسوم وكل ما يدعو إلى الإعجاب بها فتتجسر في وداعة الروح وداعة حلوة رأسها عينا رفايل وسفرت معبرة عن نفسها على يديه ، وفي الحب الذي يغمر نواحي نفسه والذي يفيض من قلبه على الطبيعة بأسرها .

ولقد حاول الكثيرون ممن تنقصهم روحه أن يستعبروا موسيقى الخطوط والحالات التي صور عليها أشخاصه فلم ينتجوا إلا مقادير غثة لأعمال نابغة أوزينز العظيم^(١) .

وفي رسوم ميشيل أنجلو لا يعجب المرء بالطريقة التي انتهجها أو بالتقوى القوية أو بالشرح البارع ، ولكن بقوة هذا الفنان الزاخرة . أما مقلدوه الذين نعزهم روحه والذين نسخوا في لوحاتهم أوضاعه القوية الوطيدة ، وعضلاته المنتفخة ، فقد باءوا بالفشل ووضوا أنفسهم موضعاً كله شين وسخرية .

وإن ما يصح أن نعجب به من ألوان تيتيان Titian هو ما تقدمه لنا من المعاني لا بانسجامها القليل أو الكثير . فليس لألوانه جمال حقيقى إلا بما تتضمنه من سيدودة جليلة شاملة . ويظهر الجمال الحقيقي لألوان فيرونيز في قدرتها على إبراز خفلات النبلاء الرشيقة الأنيقة بألوان فضية موسيقية ساحرة .

وأما ألوان روبنز (Rubens) فلا قيمة لها في حد ذاتها ويكاد يكون جمالها المتوهج هراء لولا انطباعها بطابع الحياة والبهجة والسرور والشموخ القوى العميق .

ولا أظن أنه يوجد عمل فني واحد يرجع جماله إلى آثران خطوطه أو تهويل ألوانه فقط أو إلى أنه يسترعى العين وحدها . خذ مثلاً التوافذ ذات الزجاج الملون التي يرجع عهدها إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر فعى إذا ما سحرتنا بألوانها الزرقاء الخملية ، أو بحنان ألوانها البنفسجية ، أو بحرارة ألوانها الحمراء ، فما ذلك إلا لأن تلك الألوان تفتح عين سرور حتى أمل صانعوها البررة الأتقياء أن يحظوا به في سماء أجلاهم . وإذا ما جاءت بعض

(١) رفايل ساتزبو ، وأرينو بلدته .

« حقاً إنها التفاصيل والدقائق الميتة الخالية من التعبير ، والحركة الزائفة المتكيفة هي التي تستهوى الجهال ونظريهم . فالعامة لا تستطيع أن تدرك كنهه تعبير قوى لا يحفل بالدقائق والتفاصيل التي لا فائدة منها . بمعنى . بحقيقة المجموع كله . نعم لا تستطيع السوقة أن تدرك شيئاً من تلك الملاحظات الصادقة التي تنأى بنفسها عن الأوضاع المسرحية المفتعلة والتي تعنى بأحوال الحياة الحقيقية البسيطة ذات الأثر البالغ في النفس

إن من الصعب تصحيح الأغلط الشائعة عن موضوع الرسم . فمن الخطأ اللين أن يظن امرئ أن الرسم جميل في حد ذاته . إنه ليس جميلاً إلا بما يعبر به عن الحقائق الصادقة وعن المشاعر العميقة . يعجب الجمهور بفنانين يملكون ناصية فهم بلا مرء ولكنهم يزوقون وينمقون خطوطاً إنشائية خالية من الدلالة ، ويشتهون مرسومهم في أوضاع متكيفة غير طبيعية ، ولكنها تعد فنية لأنها تشبه أوضاع المثل الإيطالية الذين يعرضون أنفسهم على أبواب المراسم . وهذا ما يسمى غالباً بالرسم الجميل ، وما هو في الحقيقة إلا « خفة يد » تعجب البلهاء الحق .

وفي الواقع يوجد رسم في الفن كما يوجد أسلوب في الأدب ، أى أن الرسم في الفن هو بمثابة الأسلوب في الأدب . فالأسلوب المزوق الذي يترك أثراً في النفس أسلوب ردى . وأما الأسلوب الجيد الرصين فهو الذي يستغنى ويتوارى كنهه بوجه القارى كل اهتمامه إلى الموضوع الذي هو بصده وإلى الماطفة المصورة .

فالفنان الذي يزوق رسومه والكاتب الذي يصبو لامتناع أسلوبه كلاهما كالجندي الذي يزين كسوته بالريش ولكنه يتهيب الذهاب إلى المعركة ، أو كالفلّاح الذي يشحذ ويمجج سكة الحراث بدلاً من أن يقوم ويطرح بها الأرض .

قد لا يخطر ببالك أن تمتدح الرسم أو الأسلوب ذا الجمال الصادق لأنك تؤخذ بأهمية كل ما يعبران عنه ، ومثل هذا يقال عن اللون أيضاً . وفي الواقع لا يوجد أسلوب جميل أو رسم جميل أو لون جميل ، وإنما يوجد جمال واحد فقط هو جمال الحقيقة السافرة المتجلية . فعند ما يتمخص عمل عظيم - أدياً كان أو فنياً - عن حقيقة جليلة ، أو عن فكرة عميقة ، أو عن شموخ قوى فياض فن البدهى أن يكون الأسلوب أو الرسم أو اللون بالفا منتقى

كلها كاملة من الناحية الفنية ... فقلت له :

ألا يمكن مع هذا يا أستاذ أن تكون بعض الأعمال العظيمة الخالدة ناقصة من ناحية الصناعة الفنية ؟ ألم يقولوا مثلاً إن ألوان رفايل تغلب عليها الرداءة غالباً ، وإن رسم رامبراند لم يسلم من القمزر والدر ؟ فقال :

صدقى إن هذا خطأ صراح . فإذا كانت قطع رفايل تسر النفس فما ذلك إلا لأن كل شيء فيها - من لون ورسم - يعد هذا السرور بعين . انظر إلى سان جورج الصغير باللوفر ، وإلى پارناسس بالفاتيكان ، وإلى رسوم الساتر في سوث كينسجتون (South Kensington) ، انظر إلى كل هذه ترانسجام فيها ساحراً أخذاً . نعم ، تختلف ألوان ساتريو عن ألوان رامبراند ولكنها ثلاثم الهامه كل الملامه ، إنها صافية نقية كصناعة القرط . إنها تبدى انجازات مفرحة ، طلية زاهرة . إن لها شباب روافيل الخالد . إنها لا تبدو حقيقية ، وذلك لأن الحقيقة التي كان يراها نابغة أوريينو ليست حقيقة مادية خصب ، بل كانت دنياء دنيا شعور حيث تستحيل الأجسام والألوان بنور الحب . ولا غرو إذا قال أحد غلاة الواقعيين بأن ألوانه غير صحيحة ، أما الشاعر فيراها صادقة .

ولو قورنت ألوان رامبراند أو روبنر برسم رفايل لبدت الأولى جافية بشعة ، ما في ذلك من شك .

ومع أن رسم رامبراند يختلف عن رسم رفايل فهو لا يقل عنه جودة . نخطوط رفايل حلوة نقية ، أما خطوط رامبراند فخشنة متعرجة . كانت تخيلة الفلمندى العظيم متأثرة بالتياب الخشنة ، والوجوه القظة الجمدة ، وبأيدي الطبقة الفقيرة المَكْجَلة اللزنة . وما كان الجمال عنده إلا التباين بين حقارة الغلاف المادي الخارجى والإشعاع الروحي الداخلى . وإلا فكيف كان يتسنى له أن يعبر عن هذا الجمال المؤلف من بشاعة مادية ظاهرة ومن سمو نفساني رائع إذا ما حاول أن يحاكي رفايل في أناقته ؟ ينبغي أن تدرك أن رسمه كامل متقن إلى أبعد حدود الكمال والإتقان لأنه يتفق تمام الإتفاق مع خلجات نفسه وأفكاره فقلت :

وعلى ذلك قد نفهم من قولك إنه من الخطأ الاعتقاد بأن الفنان لا يستطيع أن يكون بارعاً في فن الألوان ورساماً عظيماً في آن واحد

قطع القاشاني الفارسي المزينة بأزهار فيروزية اللون آية من آيات الألوان الساحرة المحبة فا ذلك إلا لأن ألوانها البديسة تحمل النفس إلى ما لا أدري من أودية الأحلام والخيال . وعلى ذلك فكل رسم وكل ألوان منسجمة تؤدي معنى بحيث لا يصبح لها جمال بدونه ... وهنا قاطعته قائلاً :

« ولكن ألا تخشى الخط من قيمة الصنعة في الفن ؟ »

ومن يقول لك باحتقارها أو بالإقلال من شأنها ؟ ليست الصنعة إلا وسيلة . ولن يبلغ الفنان الذي يهملها غايته التي هي التعبير عن الشعور والأفكار . ويكون مثل هذا الفنان مثل السائس الذي نسي أن يعلف جواده الشعير .

ومما لا مشاحة فيه أنه إذا كان الرسم ضعيفاً ركيكاً واللون مزيفاً مسيخاً ، فلا يمكن والحالة هذه أن نجد أقوى العواطف سيلاً إلى الظهور والأفصح . قد يبعث التشرخ الخاطي على الضحك على حين يرغب الفنان أن يكون جدّ مؤثر . ويرتكب اليوم كثير من أحداث الفنانين هذا العيب الشائن ، ويحسونهم ضعفهم وقصورهم في كل مناسبة لأنهم لم يدرسوا الدرس الكافي . قد تكون مقاصدهم سليمة ، ونياتهم حسنة ، ولكن ذراعا قصيرة قصر أظاهراً ، أو ساقاً غير مستقيمة ، أو منظورا مختلاً مشوهاً - كل ذلك من شأنه أن يجعل الرأي يصد عن رؤيتها ويشيح بوجهه عنها .

وقصارى القول لا يمكن أن ينفي الهام مفاجيء عن العمل الطويل الذي لا غنية عنه لإكساب العين القدرة على الإلمام التام بالشكل والنسبة ، ولجعل اليد تنصاع لأوامر الشعور وتجري مجراه وعند ما أقول بأن الصنعة يجب أن تتناسى فلا أعنى أو يدور بخلد قط أن الفنان يستطيع أن يزاوِل عمله من غير الإلمام بالعلم ، وأرى على النقيض من ذلك أن لا غنى له عن طريقة شاملة يخفى تحتها ما يظن ويعلم . ولا غرو فإن أبرع رجال العالم في نظر السوق الجاهل هم بعض المشعوذين الذين يرسمون بضعة خطوط شاذة ، أو يأتون بالألوان شبيهة بالألعاب النارية المدهشة ، أو هم الذين يكتبون جملاً طويلة منمنقة حشوها الغريب من الألفاظ . ولكن الصعوبة كل الصعوبة ، وأساس الفن الصحيح هو أن ترسم أو تصور أو تكتب بسهولة وبساطة .

إنك تشاهد صورة أو تقرأ صحيفة فلا يستوقفك الرسم أو اللون أو الأسلوب ، ولكنك تشمر بالتأثير العميق في نفسك من غير أن تخشى الوقوع في غلطة ، فالرسم واللون والأسلوب

جمالا حيا له قوة وروعة ، وهدوء وسكون . أما ألوانهم فتقوى أحيانا حتى كأنها أخذت من أشعة الشمس ، أو نخبو أحيانا أخرى تبدو كأنها الهيد أو السحر الشفيف .

وعلى ذلك قد تختلف طرائق التعبير عند توابيع الفنانين باختلاف نفوسهم . وبكاد يكون مستحيلا على المرء أن يقرر بأن رسم ولون فريق منهم أحسن أو أفضل من رسم ولون الفريق الآخر . فقلت :

— « إنى أدرك ذلك يا أستاذ ؛ ولكنى أراك لا تفكر لحظة فيما تسببه من الإحراج لجامعة النقاد الساكنين عند ما ترفض مبدأ تقسيم الفنانين إلى رسامين وملونين . ولكن يسرنى أن أفهم من قولك إن هناك طريقة جديدة لمن يرغب ذلك من صريدى التقسيم ، فأنت تقول إن الرسم واللون ليسا سوى وسيلة ، وإن روح الفنان هى المامل المهم الذى يعنينا . وعلى هذا يمكن أن نضع المصورين فى جماعات تختلف باختلاف أمرجنتهم . فالبرخت دورر مثلا يقرن بهولبين ، لأن كليهما منطقي . ويوضع رفايل وكوريجيو وأندريا دل سارتو الذين ذكرتهم فى قسم تغلب عليه العاطفة والحس ، ويأتى هؤلاء فى طليعة المحزونين الذين يشبهون بشعراء المراثى . وثم قسم آخر يشمل أولئك الفنانين الذين يمنون بالوجود وبالحياة اليومية يكون من أقطابه الثالث المؤلف من روبنز وفيلاسكويز ورمبراند . وأخيرا يؤلف بعض الفنانين أمثال كلود لورين وتيرز قسما رابعا ينظر إلى الطبيعة كأنها رؤى وضاعة آتية » .

فانقسم رودان وقال :

« أرى أن لا داعى لمثل هذا التقسيم الذى قد يكون أقرب إلى الصواب والعدل من ذلك الذى يقسم الفنانين إلى رسامين وملونين . وعلى كل حال فإن أى تقسيم من هذا النوع مصيره إلى الفشل ، وذلك لتعقد الفن أو بالأحرى لاختلاف النفوس الإنسانية التى تتخذ لغة للتخاطب والتفاهم . وعلى ذلك فنالبا ما يكون رامبراند شاعرا ساميا ورفائيل واقميا صرفا دعنا نروض أنفسنا على فهم عطاء الفنانين . دعنا نحبههم ، ولتقصدهم لنستلهمهم ونستوحىهم ، ولكن فلنكف عن وضع بطاقات عليهم كتلك التى نضعها على العقاقير فى مخازن الأدوية

دكتور محمد بهجت

نص الباتين

فقال : ما فى ذلك من شك . وأنا لا أدري والله كيف رسخت هذه الفكرة فى الأذهان إلى هذا الحد . فإذا كان عطاء الفنانين فصحاء بلقاء ، وإذا كان فى مقدورهم أن يملكوا أئنة نفوسنا ويذهبوا بنا كل مذهب ، فما ذلك إلا لأنهم يملكون كل وسائل التعبير التى تلزمهم . لقد برهنت لك على ذلك من لحظة بحالتى رفايل ورامبراند . ويمكن تطبيق مثل هذه الأدلة على جميع عطاء الفنانين . فتلاهم البعض دلا كروا بجهله أصول الرسم ؛ أما الحقيقة فعلى النقيض من ذلك تماما ؛ فإن رسمه يتمشى تمشيا معجبا مع ألوانه . فهو مثلها وعمر متقطع ، محموم ، سام ، مترع بالحياة والمواطف القوية . وهو مثلها يمنح إلى النسل والجنون أحيانا وعند ذاك يبدو أجمل وأروع ما يكون ... إن الرسم واللون شيء واحد ولا يمكن أن يعجب بالواحد دون الآخر .

ولقد يقرر أنصاف النقاد بأنفسهم حينما يفرضون وجود ضرب واحد من الرسم فقط هو رسم رفايل أو حتى رسم من هم دونه من مقلديه أمثال دافيد وأنجر . وحقيقة الواقع أنه يوجد من ضروب الرسم والألوان بقدر ما يوجد من الفنانين .

يقال عن ألوان البرخت دورر (Alb recht Durer) إنها صلبة جافة ، وليست كذلك بتاتا . إن دورر جرمانى ، فهو يسم ولا يخصص ، وترى تراكيه الإنشائية محكمة مدعمة كالحقائق المنطقية ، وأشخاصه جامدة كما يبنى أن تكون . وهذا يفسر لنا دقة رسمه البالغة ، وكيف جاءت ألوانه مكبوتة محدودة .

« وينتمى هولبين (Holbein) إلى نفس المدرسة ، فليس رسمه شيء من الرشاقة الفلورنتينية ، ولا للونه الجمال البندقي ^(١) . ولكن لخطوطه وألوانه قوة ورسوخ ومعنى باطنى ، وهذه صفات قد لا تتوفر لأى مصور آخر .

ويمكن أن يقال إجمالا عن فنانين حريصين مدققين كن ذكرت : إن رسمهم غير مرمن وإن ألوانهم باردة جافة جفاف الحقائق الرياضية ؛ كما يمكن أن يقال على النقيض من ذلك عن البعض الآخر الذين هم شعراء الوجدان أمثال رفايل وكوريجيو (Corregio) . وأندريا دل سارتو (Amdrea dil Sarto) إن خطوطهم أكثر طراوة وليونة ، وألوانهم أوفى رقة وجاذبية . أما فى غير هؤلاء ممن نسميهم « الواقعيين » أى أولئك الذين هم أقل عمقا فى الشعور والحين أمثال روبنز وفلاسكويز ورمبراند فنرى أن لخطوطهم

(١) نسبة إلى مدينة البندقية

أغاني السعاة . . . !

للمرهوم أبي القاسم الشابي

أقبل المسح بنى للحياة النعاسه
والرئ تحم في ظل النصوص المائسه
والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسه
وتهادى النور في تلك الفجاج الدامسه

أقبل المسح حبيلا ! علاً الأفق بهاء
تغطى الزهر والطير وأمواج المياه
قد أفاق العالم الحى ... وغنى للحياه
فأفنى يا خراق ! وامرعى لى يا شياء !

واتمنى يا شياهى بين أسراب الطيور
واملئ الوادى ثناء ! ومرافغاً وحبور
واسمى همس السواق وانشقى عطر الزهور
وانظرى الوادى ينشيه الغباب المستير

واقطى من كلاً الأرض ومرعاها الجديد
واسمى شياهى تشدو بمسول النشيد
نعم بصعد من قلبى كأفئاس الورود
ثم يسمو طائراً كالبلبل الشادى السعيد

وإذا جئنا إلى الناب وغطانا الشجر
فأقطى ما شئت من عشب وزهر وغر
أرضعته الشمس بالضوء وغذاء القمر
وارتوى من قطرات الطل في وقت السحر

وامرعى ما شئت في الوديان أو فوق القلال
واربضى في ظلها ما شئت إن خفت الكلال
واسمى الأعشاب والأفكار في صمت الظلال
واسمى الريح تننى في شماتع الجبال

إن في الغاب أزاهير وأعشاباً عذاب
ينشد النحل حولها أهزيمياً طراب
لم تدنس عطرها الطاهر أنفاس الذباب

لا... ولاطاف بها الثعلب في بعض الصحاب

وشذا حلواً وسجراً وسلاماً وظلال
ونسبا ساحر الخطوة ! موفور الدلال
وغصوناً ترقص النور عليها والجمال
واخضراراً أبداً ليس تحجوه الليال

إن على يا خراق ! في حنى الغاب الظليل
فرمان الغاب طفل لاعب عذب جميل
وزمان الناس شيخ عابس الوجه ثقيل
بتمنى في ملال فوق هاتيك السهول

لك في الغابات مرعى ومسعى الجميل
ولى الإنشاد والعزف إلى وقت الأميل
فإذا طالت ظلال الكلا الغض الضئيل
فهلمى رجع المسى إلى الحى النيل

في دار الإذاعة :

غريب . . .

للمؤنار إبراهيم العريض

يا ابنة الحسن ! لا تقولى غريب
لم تكن غير نظرة ... تركنتى
أغمض العين كي أراها بسمى
في فؤادى أحس وقع خطاها
ساءلتنى : أأنت تشمر ؟ هلا
آه لى من هواك ! لو كنت عوداً
أنا من في الجمال غمرد حتى
قدك يا هند ! طاب عهدك لما
لم تكن غير بسمه عجلت عيـناك في القلب سحرها بالفتات
ثم عدنا ... تحفيك عن الليالى
بين أحلامها ... وبين ملاقى
أيها الليل ! ضم ما شئت عنى
غير صوت ليلى في أناة
صوت تلك التى بشاطى "جينا"^(١)
تتجنى ... عرفت فيها مهابى !

(١) اسم النهر الذى تتدفق عليه العاصمة الهندية .

ألوان

للشاعر عبد الرحمن القمبي

بل بالك

وأفردتُ وحدي في الخضمّ ولقّني
ظلام من الأرزاء ليس يهون
فلا الموج يطويني ولا النور مُسقى
ولا الشاطئ المجهولُ عنه يبين

شجن

ثارت بنفسي حيرة السأمانِ ورومتُ فؤادي في اللظى أحزاني
وودتُ لو أحظى بلقيا عابر في الليل أنزعُ نحوه فيراني
ويرى الذي قد خطبه من شقوتي ألى على وجهي المزيل العاني
وأدبته حتفات قلبٍ راسفٍ في الحب والتعذيب والحرمانِ
فلقد يُريحُ النفسَ أن تُفشي الذي
في غورها من هائف الأشجان
ولقد يُريحُ النفسَ أن يُصني إلى
صرخاتها قلبٌ وجيدٌ حاني

أوداه من شجني الذي أبكاني ومشي على قلبي وفي أركاني
يا قُدُسَهُ من لاجعٍ يراني لم يُبقِ إلا صورة الإنسانِ

استوى الليلُ على عرش السماء؛ مطلقاً فيها معاصيحَ الفضاء؛
كافراً تقطُرُ من حلكته بالدجى حتى أعاصير الهواء
سلطَ الجردُ على أكتافه من سياط البرق تعذيب الشتاء
والرياح المذوجُ من أنفاسه أطلقتُ من قلبه بعض العناء
يحملُ اللوعةَ في أغواره يجيش الرعد بها كيف يشاء
فتدوى قصّة من فته كلما اشتدت عليه البرحاء
تسرد الأمطار عن شقوته قصة الحزن لعناق البكاء

مبرة

بكمزج حداثي ومادتي زورق أعاصير هوج كهن جنون

لجنة النشر للجامعيين

تقدم

لمؤسّس عادل لامل

ملك من شعاع

الفائزة بأول الجوائز في مباراة وزارة المعارف للقصة المصرية

تطلب من مكتبة مصر - الثمن ١٥ قرشاً

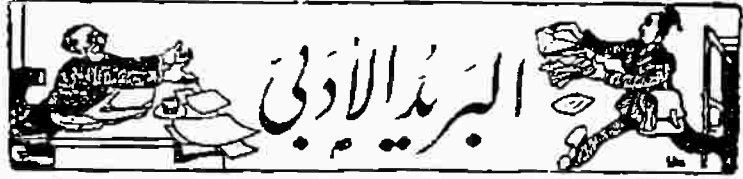
« لم يعرف العالم ديانة سامية كديانة أخناتون من
قبل ، وهي التي مهدت لكل ديانات التوحيد التي أتت
بعدها » « تبرى »

« إن لهذا الملك مركزاً ظاهراً ، وشخصية بارزة بين
ملوك العالم على توالى العصور ، فهو أعظم الفراعنة فلسفة ،
فضلاً عن أنه أول بشر في التاريخ ظهرت فيه روح
الاستقلال الذاتي » « برستبر »

كتبت عنها لجنة المباراة : « تمتاز من الناحية الفنية
بأحكام الصناعة ، وحسن الحبكة ، ودقة التحليل ، وارتفاع
مستوى التفكير في كثير من مواضعها »
قصة أخناتون ... الملغز النامض في تاريخ مصر أنبي
أم مجنون ؟ !

لقد ثار عليه شعبه ولقبه بمحرم آتون ... وردد بعض
المؤرخين هذه الصيحة فنسبوا إليه المته والشذوذ ، في حين
قال البعض الآخر :

ويطلب في الخارج من وكلائنا : في العراق . ولبنان . وسوريا . وفلسطين . والبحرين . وشرق الأردن



حول منهج البحث عن تكوين الشعب المصري الجدير

ليس من الحق أن ننكر ما بذله الأستاذ الشيال من الجهد في بحثه (تكوين الشعب المصري الجديد بعد الفتح العربي) في عملة الثقافة من رجوع إلى المصادر العربية القديمة ومحاولة تسيق النقول المختلفة منها مع صحة الاستنباط وبراعة الاستنتاج ، بيد أن مضطر إلى القول بأن المنهج الذي ابتدعه يميزه الترتيب وتبقيص المحاولة الدقيقة في البحث عن أصول هذا التكوين وعوامله ومقدار التلون الذي أدخلته كلتا الشخصيتين العربية والمصرية على الأخرى . وإذا ما عدنا إلى مناهج الغربيين الباحثين عن أصول تكوين الشعوب الأوروبية وجدناها تختلف عن منهجه اختلافًا قوى الأثر بعيد الخطر . ولا يصح أن يقال إن ظروف التكوين التي أحاطت بهذه الشعوب تختلف عن الظروف التي أحاطت بتكوين الشعب المصري العربي بعد الفتح ؛ فإن الأصول الأولى التي عرفت والتي كان لها أكبر الأثر في تكوين هذه الشعوب ونمو شخصيتها الجديدة هي بينها الأصول التي عرفت عند العرب . وإذا ما جاز لنا أن نحاول مثل هذه الدراسات في البحث عن أصول الشعوب العربية الجديدة وتأثرها بمقومات الشعوب التي استعمرتها في الثقافة والدين واللغة والجنس فإن هذا يحتاج إلى منهج من نوع آخر ليس يكفي فيه تنضيد النصوص العربية والوقوف عندها بالاستنتاج الحذر مما لا يلقى صورة واضحة ولا يدلي بأسباب قوية عن هذا التكوين.

ولقد حاول المؤرخون الإنجليز البحث عن أصول تكوين الشعب الإنجليزى المختلفة المتماونة على تقويم حياة الشعب فكانت لهم من ذلك محاولات يصح أن ينتفع بها الدارسون لمثل هذه المحاولات في الشعوب العربية وآدابها . والأستاذ الشيال حين يبدأ أولى هذه المحاولات يقف عند المصادر العربية ووفقاً عجباً فلا يحفل بالبحث عن مقومات البيئة المصرية الأولى التي استعمرها العرب . ونحن نعلم مما وصل إلينا من البحوث المصنفة التي عولجت حول هذه البيئة من مؤرخى اليونان والرومان الذين رحلوا إلى الإسكندرية أو استقروا فيها شيئاً كثيراً يتصل ببعضه بالأديان المختلفة التي كانت تصطرح في هذه المدينة وبعضه بالآثار الأدبية المختلفة من

يونانية وقبطية وبعضه يتناول نواحي من التدين خاصة كالنصوف الذي تأثر به العرب فيما بعد والذي كان أصلاً من أصول الحياة الدينية المصرية القديمة (١) .

وإن الأفلاطونية الحديثة التي نشأت في مدينة الإسكندرية

كان لها أثر قوى في البحوث الدينية عند المسلمين فيما بعد . ولعل هذا يلفتنا إلى وجوب البحث الدقيق عن مسالك تأثر المسلمين بالثقافات اليونانية إذ ربما حول ذلك مجرى البحث الذي استقر في مثل هذه الموضوعات عندهم .

وإذا كان المؤرخون الإنجليز حاولوا شيئاً من هذا في دراساتهم الأدبية والتاريخية فأولى بنا أن نرجع أولاً إلى مثل هذه المحاولات قبل البدء في دراسة هذه الموضوعات . وبين يدي الآن مرجع من هذا الطراز Kistory of later Greek Literature by Wright يبحث فيه صاحبه ما تردد في الإسكندرية من ألوان الثقافات المختلفة التي كان لها أكبر الأثر في تكوين الشعب المصري الجديد . ولا يقف في سبيلنا ما لا يزال موضعاً للدراسة مما يروى من إحراق مكتبة الإسكندرية على يد عمرو بن العاص بأمر عمر فإن تأثر العرب بالثقافات القديمة في مصر لا يتركز فقط على المتحف والمكتبة وإنما يمتد على أشياء أخرى تظهر لمن خصص نفسه لمعالجة مثل هذه الدراسات برفق ولين وأناة .

وإذا كانت الفلسفة اليونانية قد لجأت إلى الإسكندرية بعد ما لاقى من ألوان الاضطهاد والأذى في الغرب فوجدت فيها حياة آمنة وأفقاً طليقاً يلائم الفلسفة والتفلسف فأجدر بنا ألا نقف عند هذه المحاولات بل ينبغي أن يمتد ذلك إلى تعرف آثارها في الحياة العربية الإسلامية المصرية فيما بعد .

وإذا كان المقريزى في خطه يصف سكان مصر فيقول : « وهم أخلاط مختلفة من الفرس والروم والعجم والبربر » ولكل من هذه الأخلاط مقومات مميزة انصهرت انصهاراً عجيباً في البيئة المصرية فإن البحث عن أصول هذا الشعب ينبغي أن يتناول هذه الأخلاط المتباينة في الجنس والثقافة والدين .

وسواء أكان العرب الذين استقروا في مصر قيسيين أم عيينيين فإنهم وافدون من جزيرة العرب ذات المقومات الخاصة في الدين واللغة والجنس ، ونحن نعرف من تاريخهم أكثر مما نعرف من تاريخ القبط والروم والفرس والبربر ؛ فالأجاء إلى بحث الجنس العربي وحده أجاء يسير الجدوى قليل الأثر .

(١) انظر ترجمة دى النون في حلية الأولياء لأبى نعيم .

ما بهم لم تهز مشاعرهم هذه الحوارات الفظيعة التي تركتها فرنسا ؟
أيها الشعراء ، سجلوا مفاخر قومكم قبل أن تسجلوا مفاخر
أعدائكم ، وابكوا على معائبكم قبل أن تتوخوا على معائب
الناس وأسمونا أصواتكم .
على محمد حسن

تصويب أخطاء في العدد الماضي

في الصفحة الأولى من العمود الثاني في الطر ١٧ : هيات
ألا يبعث ، والصواب لا يبعث
في الصفحة ٦٢٠ العمود الأول السطر الرابع اللواتي والصواب اللواتي
» » » » الثاني السطر ٢١ أيها » أيها
» » ٦٢٢ » الأول السطر ١٣ من مائة » بعد مائة
» » ٦٢٥ » » العاشر بعد الهجرة » بعد الميلاد

مهريرة الزنار

أصدرت جريدة الأنداز التي يصدرها أسبوعياً بالنيا الأستاذ صادق
سلامه عدداً ممتازاً في ٣٢ ص بمناجاة دخوله في سنه السادسة عشرة
وهو عدد حافل بالطرائف الأدبية والآراء القيمة لنخبة من رجال العلم
والأدب والسياسة فمرجو للزميلة دوام التوفيق واطرايد التقدم

ظهرت الطبعة الثانية من :

فلسفة الأخلق في الاسلام

وصلاتها بالفلسفة الأخرقية

للمؤسس محمد يوسف مرسى

الكتاب الأول في فلسفة الأخلاق المقارنة ، فكان
حدثاً ملحوظاً في الإنتاج الفلسفي المعاصر ، وفيه الرأي
الحق الصريح في فلسفة الغزالي وابن عربي وغيرها من
مفكرى الإسلام .

الثنى ٢٥ قرشاً والبريد ٥٣ ملياً

الناسخ

دار الكتب الأهلية

ميدان الأوبرا بمصر تليفون ٤٩٥٦١

وإني أرجو أن يتعاون الباحثون عن تكون الشعب المصري
الجديد تعاوناً يستند على أصول دقيقة من البحث العلمي حتى تقوم
دراسة الأدب العربي المصري على أسس صحيحة من البحث
المنتج السليم .
السيد مهبل

طباعية ولا طبيعية :

قال الإمام العالم الأديب أبو حيان التوحيدي في المقابلة
الثانية والعشرين فيما بين المنطق والنحو من المناسبة ص ١٧٢
من كتاب المقابلات - وشهادة النحو طباعية ، وشهادة
المنطق عقلية - فنسب إلى طبايع ولم ينسب إلى طبيعة ، وعجز
بذلك المشكلة القائمة الآن في النسب إليها ، وقد جاء في القاموس :
الطَّبِيعُ والطَّبيعة والطَّباع ككتاب السجدة جبل عليها الإنسان
أو الطبايع ككتاب ماركب فينا من الطعم والمثرب وغير ذلك
من الأخلاق التي لا تزالنا ، كالطَّابع كصاحب

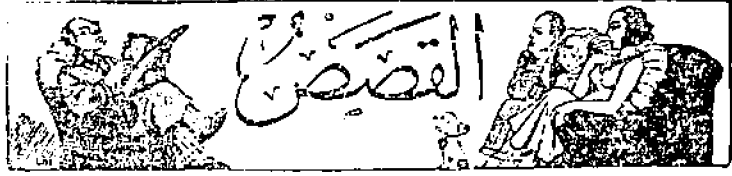
فهل لنا أن نقول ذلك الإمام الجليل في تلك النسبة ، ونقول
في هذا المعنى - طباعية وطبايعي - ولا نقول طبيعي ولا طبعي ؟
لأن النسبة الأولى تخالف القياس في المنسوب إلى ما يكون على فعية
والنسبة الثانية تلتبس بالنسبة إلى طبع بفتح الطاء والباء ،
وهو الصدا والندس ، ولا شك أن مثل هذا الالتباس له حكمه
في اللغة ، وقد أوجب دفعه كثيراً من أحكام النحو .

عبد المتعال الصعيدي

أين شعراؤنا ؟

رحم الله (شوقياً) و (حافظاً) إني كلما جد حادث في مصر
أو في الشرق ، تذكرت هذين الشاعرين فسكنت عليهما الدموع ،
ولعلهما لو عاشا إلى أيامنا هذه لقرأنا لهما القصائد الجياد في هذه
الأحداث التي تمر بنا . ولكنهما ماتا ، ولم يصدق الشاعر حين قال :
قالوا خلت مصر بعد الشاعرين ولم

يمر بثلهما ميدانه الخالي
ولست وحدى له في مصر بعدها فصر ملأى بأشباهي وأمثالي
نعم وجد هذا الشاعر سعة في مجال الفخر ولكنه لم يجد لها
في مجال الشعر ، وإلا فأن أشباهه وأمثاله ؟ أين هؤلاء الذين
ملأوا الصحف بالأمس ليكون (باريس) أين هم اليوم ليكونوا
« دمشق » و « حلب » و « حماة » ؟ ضلة هؤلاء الفتون بفرنسا
وضلالا بفرنسا ، أنراهم سكنوا الآن لأنهم يحبون فرنسا أكثر
من محبتهم « سوريا » و « لبنان » . إنا نعرفهم عن ذلك ، ولكن



الدميم (٥) ... للأستاذ حبيب الزحلاوي

— ١ —

ما كدت أبتد بضعة أمتار عن المقهى حيث كنت جالساً مع طائفة من أصدقائي حتى شعرت بقبضة يد رقيقة تستمليني . التفت فرأيت واحداً من أولئك الأصدقاء الجلاس ، فلهجت في نظراته شبه استعطاف ، فقال لي بلمهجة لا تخلو نبراتها من قوة : أريد أن أسألك بشرط أن تجيبني بصراحة ، ما هي عقدة القصة ؟ وما هي الحكمة ؟ ما هو العرض والفكرة والوحدة التي تكلمت عنها فقلت إنها عناصر حيوية للقصة ؟ أنا يا صديقي أحسن كتابة القصة ، أو بعبارة أخرى أحسن خلقها فوراً ، وأبتدع وقائعها وأشخاضها ابتداءً ، وأجذب السمع إلى الانتباه إليّ ، ولا أتركه إلا بعد أن أشبعه وأنتعه بلبات من الخيال المذوق ، والتلفيق الموشى بألوان من حسن الكلام . أليس هذا هو الفن ؟ ! واستطرد قائلاً : مادام الأمر كما ذكرت لك ، وأزعج أني ذكرت الحقيقة الواضحة عن البناء الفني ، فما هي إذن المقدمة ، والحكمة ، والعرض والفكرة والوحدة التي تكلمت عنها ، وأحسب أني فهمت من مجمل كلامك أن لا قيمة للقصة الخالية من هذه الخصائص ؟ فهل هذا صحيح ؟

أعجبتني رؤية مسحة الطفولة تسكو وجه هذا الشاب ورفقت به وبأشاله ممن يتغالبون في الآداب والفنون ويستهيرون بها كأنها سهلة التناول فقلت :

تعال معي إلى النادي فهناك أستمع إليك بانتباه وأجيبك إلى طلبك عن رضى .

قال : في الجلوس في المقهى متعة للنظر لوجود لها في الأندية .

قلت : ليس بي ميل إلى إشغال الذهن بمراقبة المارة ، وليس

(٥) من مجموعة قلب مبثر (تحت الطبع)

في ذلك الطمأنينة إلى المرأة الذي يتناكب أسم يا جلاس المقاهي قال : نحن على غير مذهبك الفردى يا صاحبي ، نحن جلاس الأفايز ، رواد المقاهي ، نشور جوعاً ، نتلهف على لفحة من فتاة ، أو نظرة من امرأة ، ألا نحس مثلاً بالجماعة الجنسية وقد طمئت واستعصى أمرها على وزارة الشؤون الاجتماعية ؟

ابتسمت الكلام هذا الشاب التحمس ، فأخذته من يده فشئى معي ، فلما دخلنا الصعد الذي سيرتفع بنا إلى الدور العاشر من البناء قال : انت مصرّ على الجلوس في النادي وكّر الكهول والشيوخ من أرباب المال ؟ حسن ، سأجلس معك في هذا النادي المرتفع المترفع عن الناس ، وأقص عليك قصة من صميم الواقع ، وأنا قنن بأنك ستشهد لي ببراعة الارتجال ، وبأن القصة هي القصة ، أعني أن المقدمة والحكمة ، والفكرة والوحدة ، إن هي إلا افتعالات ، أما إذا كانت شيئاً غير ذلك فستدلي عليه .

ابتسمت أيضاً لهذا الإبداء الجديد الذي يمثل ادعاءات الشبان وهم يتوهمون الأمور وفق أمزجتهم الرخوة لا وفق الواجب في معرفة الأصول ، وقلت لصاحبي بعد أن انتحينا ناحية في النادي مزدانة بأصص من الزرع دائمة النظارة الربيعية ، يحسن أن تجلس هنا فنقص على قصة شعرية يرتجلها خيالك الخصب وينزعها من صميم الواقع كما قلت .

أرجو ألا تهزأ بي . استمع إليّ :

« وضعت حقائبي في المكان المد لها ، وجلست على المقعد الذي احتجزته في عربة القطار ، ثم التفت لأرى رفاق الطريق الذي سأقطعهم بمرحلة واحدة من مرسيليا إلى باريس ، فلفتت سيدة تتألق نظارة وشباباً ، وضاحة الحيايا بادية الفتنة وسمعتها تقول للرجل الجالس إلى جاني : ألم أقل لك إنه غير فرنسي ، إذ لو كان فرنسياً لكان حياناً بإشارة بسيطة ساعة دخوله ، ولما كان ألهاه المودعون ولا المشاغل الذهنية عن أداء التحية الواجبة » .

وسمعتة يقول لها : لم لا تقيمين للتقاليد والمادات اعتباراً ؟ لا ذا تفرضين على غير الفرنسيين الأخذ بعاداتكم وتقاليدكم ، وقد تكون هذه التقاليد التي تريها حميدة عندكم مسهجة عند بعض

ما يؤذى إباء النفس ، بل كرفيق الطريق الذى يحرص على إبقاء
أطيب أثر في نفوس رفاقه ؟

هاك بدى . أما أنا فمدام « فرانس » وصديقي هذا مستر
« أميركا » وأنت يا صديقنا على هذا القياس من تكون ؟
رطب شفتي بقبلة من يدها البضة وقلت متابعا على السؤال
نفسه : أنا يا سيدنى مستر « إيجبت » .

إيجبت ... إيجبت ! رددت السيدة كلمة إيجبت وهى تلفظها
ممطوطة ممدودة بتؤدة كأنها تعود بذكرياتها آلاف السنين إلى
الوراء تشرع بلحمة واحدة آثار الماضي الحقيق الباقية على
الدهر وتقول : انت إذن مصرى ؟ !

نعم يا سيدنى أنا مصرى من سكان القاهرة ، وانت فردنية
فقاطعتنى قائلة : « فرنسية باربسية » وصديقنا أميركى من
واشنطن أو نيويورك وليس قطعاً من هوليد . وها نحن الثلاثة
نمثل ثلاثاً من قارات عالمنا ، ونمثل أيضاً أعرق مدنية عرفها
التاريخ القديم وهى تتوثب الآن للعودة إلى الحياة ، وأعرق مدنية
حديثة ستغلب عليها مدنية أحدث منها ، ومدنية جديدة فى العالم
الجديد قد يكون لها طابع خاص سوف يتحول بسرعة إلى طابع
ييم العالم ، وأردفت كأنها تتدارك قوافل فرسة : نعم نعم سيكون
الدولار طابع أميركا الخاص كما يحاول الروس أن يجعلوا الاقتصاد
أساساً لنظام العالم الاجتماعى الجديد . قالت السيدة كأنها عن الدولار .
وضحكت ضحكة عالية لها رنة الأوتار المزنة واللغات الرقيقة .

قلت : العالم يا سيدنى لا يقوى على السير فى نظام اقتصادى محض
بل يستحيل عليه المضي فى طريق السعادة البشرية بغير دوافع الروح
هذا صحيح يا مستر إيجبت ولكنى لاحظ أن مدام فرانس
تحدثانى فى كل ما أقول ، فإذا كان ذلك يذكرك يا سيدنى فلا أمانع
أنا الأميركيانى فى تقرير الدولار طابعاً لبلادى وهو بالفعل الإله الذهبى
الموحى إلى كل الناس كل الرغبات والشهوات .

المرأة يا مستر أميركا ، أرجوك ألا تنسى المرأة ، بل أحتم
عليك عدم نسيانها لأنها الروح الذى تكلم عنه مستر إيجبت
ولأنها وحدها الموحى لكل الناس كل الرغبات والشهوات
— على حد تعريفك أنت — بل هى وحدها موحية الحياة والحب
لو كل النساء كن مثلك يا سيدنى لما ترددت فى الاعتراف
بذلك ولكن ...

دع يا مستر أميركا قرض الديح ونظم الثناء والإطراء لأنها
من طبائنا الأصيلة التى لم تقتبسوها عنا بعد ، ولأنها وإن كانت

الأقوام ، وربما كانت مستفجرة عند أقوام آخرين أمثال الإنجليز
مثلاً الذين يحميون من لا يعرفون مهما كانت الظروف والمناسبات .
فهمت من لهجة الرجل ومن قممات وجهه ولون بشرته أنه
أميركى يحسن التعبير عن خواطره باللغة الفرنسية وكان بلفظها صحيحة
ولكن ببطء ممض أوجع نفس السيدة الفرنسية الجيئة ،
وأدركت أن مدار الحديث يدور حولى لأنى أخذت مكانى فى
عربة القطار ولم أحي من فيها ساعة دخولى !

هل أدخل فى القضية طرفاً ثالثاً على حد تعبير المحامين ، وهى
قضية خاصة بى برغم قيامها بين السيدة الفرنسية والشاب
الأميركى ، أو أزم الصمت وأحترم سجية نفسى وعادات قوى
وأسكت عن الكلام مع من لا معرفة لى به . أليس فى ذلك تطفل
أو تحيط للعرف ؟ أو ليس هو وسيلة سهلة مؤدية إلى التعرف
بهذه السيدة الجميلة المغرية ؟ أو ليس فى ذلك فائدة للوصول إلى
ناس يطيب لى أن أحدهم عن قوى وبلادى وقد لا يعرفون عنهم
شيئاً أو يعرفون ما تنقله لهم اللطافة المغرسة ، والفكر الاستعمارى
وجهاً لبعض الكتاب الطائشين ؟

جالت هذه الخواطر فى ذهنى والسيدة والرجل ما زالا
يتحاوران ويتناقشان . هى تصر على أن عادات قومها منسكرة
على قواعد آداب الاجتماع وهو ينكر أن للآداب الاجتماعية قواعد
ثابتة ، هى تقول إن قواعد الفن والنو ، وهو يقرر أيضاً
أن مباهات الفن هى معارض النحت والتصوير ودور التمثيل
وبعض دواوين الشعراء وكتب الأدباء والروائيين ، وأن النو
مسألة فردية وإحساس ذاتى . هى تقضب من تمهده لإهمال ذكر
المرأة فى أنها الفن كله باعتبار أنها الباعث الأول على استفزاز
ملكات الفن والإلهام الفنى ، وهو ينكر عليها بعض دغواها
ويؤيد بعضها ويقول : إن المرأة موحية حاضرة ، وليست هى
بشئ فى صميم الفن ! هى تصرخ قائلة : إنكم معاشر الأميركيان
لا تغدقون الحياة إلا عن طريق الدولار ! وإنكم ... وإنهم عبدة
الدولار فقط . أليس كذلك يا مسيو ؟ والتفت إلى تدخلنى
فى هذا الجدال . كاد يرمج علىّ حين فاجأتنى بسؤالها وهو استجداد
بى أكثر منه سؤالاً ، ولكنى تمالكت نفسى وقلت :

إلخال أنى كنت السبب فى هذا الحوار الذى بلغ بكما إلى هذه
النتيجة ، فهل تسمح لى سيدنى أولاً أن أحيها وقد آليت على
نفسى بمجازاة الفرنسيين وتقليدهم ما دمت فى بلادهم ثم أدخل
فى الحوار ، لا كفضولى متطفل قد تعرضته صفاته إلى سماع

دوى رنين الجرس يدعو الراغبين فى الطعام من ركاب الدرجة الأولى إلى تناول العشاء ... وكان الكلام حثاً لمدام فرانس التى أسرت أحد النادل (جارسون) بتهينة مائدة لثلاثة أشخاص ... فكان طعام وكان شراب ، بل كان شراب وطعام وكلام وشعر وتوريات ورموز وتلميحات ومقارنة بين المرأة المصرية وأختها الفرنسية والأميركية ، وكادت تضطرم ثورة مدام فرانس لتوهما أن أختها المصرية أوفر براعة منها فى إرضاء الرجل ...

عدنا إلى مقاعدنا وقد أذبل الشراب أجفاننا ، وأخذ قوة النضال الكلامى فينا ، وأدركى بطبيعة الحال قوة النظر الطويل والاعجاب الذى لا حد له والافتتان بهذه المرأة الملوءة حيوية وجالاً ونضارة وسجراً والمعدة أمامنا على مقعد عربية سكة الحديد محاول النوم على هدير القاطرة وصغيرها وقرعة العربات .

لقد أحييت الليل ورفيقى الأميركى تتحدث همساً حتى لا تزعج السيدة الناعمة ، وكان طبيعياً أن يختلف فى رأى وأن تتجاوز وتتجادل ثم تعود إلى صفائنا الأول ، وكان بديهياً ، بحكم الرغبة الكامنة ألا يختلف أبداً وأن تنفق اتفاقاً تاماً على الأنايمد النظاء كما سقط عن جسم هذه المرأة الفاتنة المتناومة ، وكان عذاباً على سماعتنا قولها : يا لكما من شايين شقيين !

سكت محدثى مرة ثانية فلم أدعه يتمهل بل قلت له بنبرة جافة : ثم ماذا ؟ صدمه سؤالى وكاد يتخاذل ولكنه تجلد وقال : طلع الفجر ، ثم تفجرت أشعة الشمس ، وانجلى عروس برة فرنسا شوبها الزيرجى النضر . وبلغنا باريس فافترقت القارات الثلاث ، وراح مستر أميركا ومستر إيجبت كل فى طريقه ، وراحت مدام فرانس تنثر القبلات وتنقبل القبل من مستقبلها على إفريز المحطة ربت كتف محدثى وقلت له ببشاشة أذهبت وقع الصدمة

الألمية التى صدمته بها عند سؤالى إياه تنمة القصة بقولى : « ثم ماذا » ليست قيمة القصة يا صاحبي فى المادة التى تتألف منها ، ولا فى كيفية ترتيب تلك المادة ، بل قيمتها فى الكيفية التى تؤدى بها وفى عرضها عرضاً خاصاً بمهارة فنية ، بالتشويق والترغيب ، فى صدق الرواية عن الحياة ، مضافاً إليها الخصائص الفنية التى ذكرتها فى حديثى مع رفاق المقهى ، أما قصتك المرتجلة هذه فإنها تخالل حكاية واقعية وقعت لى حين رحلت إلى جزيرة رودس التى انزعها الطليان من الدولة العثمانية مع بقية جزر الدوديكانيز .

قال : أرتجل قصتك أرتجالاً ؟ فابتسمت لسؤال هذا الشاب وقلت

هيبب الزمهرى

يتبع

ترضى غرور المرأة وتدغدغ زهوها ولكنها لا تقوم مقام الحقيقة التى لا عيب عن الاعتراف والجهر بها وهى « أن المرأة هى الإله الوحيد النوحى إلى كل الناس معنى الحياة والحب ، ولذة الوجود والفرح به على الأرض ، ولذة الألم والحزن أيضاً » .

قال مستر أميركا موجهاً إلى السؤال : هل تعترفون بألوهية المرأة فى مصر ، وبأنها مصدر إلهام يوحى إلى الناس معانى الحياة كما قالت مدام فرانس ؟

بلنت ريقى وتكلفت ابتسامة رضى وقلت : ليتك يا مستر أميركا تضع السؤال فى الصيغة التالية : هل بلنت المرأة الأميركية درجة من الرقى سمت بها إلى مقام جعل الرجل يتطلع إليها فيه كما تتطلع كلنا إلى المرأة الأوروبية باعتبار أنها اللهم معانى الحياة والدافع إلى الشعور بالفرح بها ؟

لقد نجحت فى تحويل الدفة ، كما يقال فى تعبير النونية ، وفى رفع الأثقال عن كتف المرأة المصرية والرجل المصرى ، وفى إزاحة الألم عن نفسى من قول الحق ، وقد أفلحت فى ذلك ، إذ ما كدت أنتهى من تحريف السؤال وتوجيهه إلى مستر أميركا حتى انبرت مدام فرانس تقول : تخولنى معلوماتى حق القول بأن المرأة الأميركية أخذت تدرك قدر نفسها وستنجح فى صيرورة ذاتها مصدر حياة أفضل فى روح الرجل الأميركي من الدولار .

ما كادت تنتهى مدام فرانس من قولها حتى رايتنى مدفوعاً إلى الكلام فقلت معقياً :

سوف تصير المرأة المصرية ذاتها مصدراً للإلهام الرجل وإذ كان روحه متى خلعت من شوائب الطفرة وبعد أن ترغها الآلام على التفكير فى ماضيها ومستقبلها بالقياس إلى حاضرها المضطرم بيران الانتقال .

صحيح ما رمزت إليه بلباقة يا مستر إيجبت عن المرأة أنها فى طور الانتقال الذى يعقب الانقلاب الاجتماعى ، ويمكننى القول إن بواكير الانقلابات تكون من النساء وفى النساء كما تكون بواكر الثورات وطلاتها من شرارات يقدها طلاب الجامعات بائحاً ، غير مباشر من أرواح بقطة عاملة هادئة .

سكت محدثى الشاب وكاد يطول سكوته ولكنه رفع رأسه ونظر إلى نظرة استفهام واضحة ، فقلت له ببرود : ثم ماذا ؟

ماذا ؟ ! نعم نعم ، كدت أظن أنى أنهيت القصة ولكنى نسيت فصلها الثانى .